

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٩٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

لغة عالمية ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

ونشاطهم اليوم أقوى من نشاطهم في السنوات الماضية ،
فقد شهدوا أمم العالم تجمع مندوبيها في صعيد واحد ، وقد بلغوا
في عهد عصبة الأمم النحلة أن تعترف العصبة (سنة ١٩٢٧)
بأشهر اللغات العالمية وهي « الاسبرانتو » التي سمنا عنها كثيراً
في البلاد العربية . فإذا بلغوا في عهد الأمم المتحدة أن يتكلم
المدوبون بهذه اللغة ، أو يتكلم أحدهم بها ويفهمه بعض زملائه ،
فهى خطوة مفلحة في سبيل التعميم ، وقد تتبعها خطوات تشترك
فيها الحكومات وتنظم فيها الشعوب

فالمجلات التي كانت تطبع بلغة الاسبرانتو ثم احتجبت في
السنوات الماضية تعود الآن إلى الظهور ، والمجلات التي ضاق
نطاق انتشارها توسع هذا النطاق جهد ما تستطيع ، ولا تكتفى
الجماعات الدولية بمطبوعات هذه اللغة فتعقد الاتفاقات بينها وبين
المجلات الشهيرة على تخصيص أقسام منها لتعليم « الاسبرانتو »
ونشر الترجمات إلى هذه اللغة مع أقسام المجلة الأخرى التي تنشر
بلغتها القومية ، وتتوالى الدعوات إلى عقد المؤتمرات السنوية
كما كانت تعقد منذ أربعين سنة بغير انقطاع فيما عدا أيام الحروب .
وقد كانت للاسبرانتو مؤتمرات سنوية شهدها أربعة آلاف
مندوب من أرجاء العالم في بعض السنين ، ولهم أمل في ازدياد
هذا العدد خلال السنوات المقبلة ، ولهم أمل أهم من ذلك وأجدى
على اللغة بين أمم الحضارة ، وهو أن يظفر كتاب أدبي من كتب
الاسبرانتو بجائزة « نوبل » أو بجائزة من قبيلها ، ولا يسمحون

تجدد في هذه الأيام نشاط الدعاة العالميين إلى تميم لغة واحدة
بين أمم الحضارة ، لتصبح في يوم من الأيام لغة النوع الإنساني
كله ، أو لتصبح — على الأقل — لغة إضافية يتفاهم بها أبناء
الأمم جميعاً إلى جانب لغاتهم القومية ، إذا تعذر الاتفاق على لغة
واحدة تنى عن جميع اللغات

وهذه الدعوة تتجدد في أيام الدعوة إلى السلام ، وهي أرفع
ما تكون صوتاً وأبعد ما تكون صدًى في أعقاب الحروب العالمية ؛
لأن الناس يشعرون في هذه الأوقات بمواقب التفرق والانقسام ،
ويستمعون إلى كل نصيحة يرجون منها منع الحروب وتقريب
الشفقة بين بني الإنسان ، في اللغة والمقيدة والعصية القومية
ومن تقديرات هؤلاء الدعاة أن التفاهم بلغة واحدة يقضى على
سبب من أسباب سوء التفاهم بين الأمم ، فلا يقع بينها هذا التنافر
الذى يثير الفتنة ويتفخ في نيران المداوة ، ويفرق الناس شيعاً في
القلوب كما تفرقوا شيعاً في الألسنة واللغات
ومن البديهي أنهم يقدرون إمكان النجاح في هذه المحاولة ،
ولا يسلكونها في عداد المحاولات المتبعة على جميع المحاولات

فلم تمض سنة ١٨٨٧ حتى أعلن الدكتور زامنهوف Zamenhof
الروسي لغة عالمية أخرى هي لغة « الاسبرانتو » التي كان لها من
الذوبوع في أوربة وأمريكا أوفى نصيب

ولم تمض سنة ١٩٠٠ حتى رأى بعض أنصار الاسبرانتو أنها
محتاجة إلى تعديل ، وأدخلوا عليها هذا التعديل في النطق والهجاء
فعرفت باسم لغة « الأيدو » ido ، وهي الكلمة التي وقع بها
مقترح التعديل اسمه عند جمع الأصوات ،

وحاول أصدقاء الفريقين أن يربوا الصدم بينهما ، فاقترحوا
توحيد اللهجتين باسم « الاسبرانتيدو » ispirantido تركيباً
مزجياً من الاثنتين ، فلم يفلحوا في التوفيق ، وأسفرت المحاولة
في أقل من أربعين سنة عن ثلاث لغات أضيفت إلى اللغات
المتفرقة ، فزادت ولم تنقص بمحاولة التوحيد

ويحدث هذا في كل محاولة يراد بها جمع البشر كافة إلى لغة
واحدة أو عقيدة واحدة أو تفكير واحد ، وشواهد ذلك عندنا
في الشرق المرووف ، وفي العصر القريب

فالباب قد أراد في القرن الماضي أن يفسر الكتب الدينية
تفسيراً يقبله المسلمون والسيحيون واليهود ويجمع به الأديان
الثلاثة إلى كلمة واحدة ينحسم فيها الخلاف ، فلم يعض على دعوته
عمر رجل واحد حتى كانت « البابية » نفسها ثلاث شعب
لا تدين واحدة منها بأمامة الشعبة الأخرى ، فلم تتوحد العقائد
بل زادت عقيدتين مع الدين الجديد .

وحاول القادياني في الهند مثل هذه المحاولة فلم يسلم الروح
حتى أصبح الأحاديون شعبتين متنازعتين تدين إحداهما بنبوة
الإمام وتنكر الأخرى عليه النبوة وتنته بلقب الاجتهاد والأمامة
وافترق أتباعه قبل أن يوحدوا الأديان . وقد تنقسم الفرقة إلى
فرق والشعبة إلى شعب . دون أن يتحقق المقصد الذي نزعوا إليه .
والاسبرانتو على هذا القياس ستصبح لغات ولهجات قبل
أن تتفق على لغة واحدة إلى جانب اللغات القومية . أما أن تزول
هذه اللغات القومية جميعاً فذلك تقدير بعيد ، بل جد بعيد .

والخطأ في التقدير الآخر أن نرجع بأسباب الحروب إلى
تعدد اللغات ، وأن نعتقد أن توحيد اللغة يزيل تلك الأسباب

بترجمة بعد ذلك إلا إذا اقترنت الترجمة بنصوص الكتاب الأسيل
وما لا شك فيه أن الاتفاق على لغة عالمية إضافية مفيد في
عالم السياسة والمال ، ومفيد في السياحات والمقابلات بين الغرباء .

ولا شك كذلك في سهولة الاسبرانتو على التعلم بالقياس
إلى جميع اللغات التي عرفت إلى الآن ، لأن كلمات اللغة تكتب
كما تنطق ، وقواعد النحو فيها قليلة لا يمرض لها شذوذ ، ولا
يسر على قارى من القراء أن يحفظ جذورها جميعاً وأن يتصرف
في الاشتقاق منها على حسب القواعد الممدودة بغير مشقة وبغير
حاجة إلى مراجعة ، فهي أيسر لغة على التعلم بلا خلاف

ولكن الشك كل الشك في الأساسين اللذين يقوم عليهما
بناء اللغة والرجاء في جدواها ، وهما إمكان التعميم ومنع الخلاف
بهذا التعميم

فوضع الخطأ الأكبر في تقدير هؤلاء الدعاة حسابهم أن
اللغة وسيلة تقام وكفى ، ولا شأن لها قبل ذاك ولا بعد ذاك .
والواقع كما نشهده أن اللغة « كائن عضوي » يمتزج بكيان
الأم في ماضيها وحاضرها ، ومستودع حيوي لما يجيش في
نفوسها وعقولها من فكر وأمل وعاطفة واعتقاد

ومهما يبلغ من إنصاف الدعاة المشغوفين بالسلام وتوحيد
الشعوب ، فلن يستأصلوا من نفوسهم تمييز جنس على جنس ولسان
على لسان ، وآية ذلك أنهم قصروا جذور اللغة العالمية على مصادر
اللغة اللاتينية ومشتقاتها ، فليس فيها حساب للعرب مثلاً ولا
لأهل فارس أو الهند أو الصين

ونحسبهم لو استطاعوا أن يلحظوا اللغات كافة في جذور
انتمهم لما ضمنوا بذلك توحيد اللغة ، ودوام التوحد فيها مائة سنة
متوالية ، ولا نقول بضع مئات

وتاريخ اللغة العالمية شاهد على ذلك يغنيننا عن ترقب حكم
المستقبل البعيد أو القريب

فقد ظهرت أول لغة عالمية في سنة ١٨٧٩ قبل إعلان الاسبرانتو
بنحو تسع سنوات

وقد وضع تلك اللغة قس ألماني يسمى شليز Schleyer وأطلق
عليها اسم « الفوليك » Volpuk منحوتاً من كلمات انجليزية
وجرمانية معناها لغة العالم

أنه نام حتى سبقته السلحفاة ، وإن لم أكن قد رأيت في عمرى
سلحفاة تسبق أرنبا ...

فلما ورد على كتاب المحطة نظرت فإذا بينى وبين موعد
الأذاعة أمد طويل فاطمأنتت ونمت ، حتى إذا كانت ليلة العيد ،
ولم يبق أمانى إلا ساعات معدودة أكتب فيها القصة وألحق بها
البريد الجوي ، أخذت قلمى وصحيفتى لأكتب فسدت على
أبواب القول ومنافذه وكواه ... وعدت مرتجبا على محبوبى
لسانى كأتى ما مارست الكتابة قط ، وكذلك نفس الأديب
يا سادة تفتتح تفتتح الينبوع الدفاق ، ثم تشعّ شحّ الصخرة
الصماء ما تبض بقطرة ماء ، ولكن الناس لا يصدقون ذلك :
إنهم يحسبون الكاتب يخرج المقال من نفسه كما يخرج التاجر
البضاعة من دكانه ، لا يدرون أن هذا الكلام يحى أحيانا حتى
ما يقدر الأديب على رده ، ويعزب حينئذ حتى لا يلقاه ، وأنه يملو
ويصفو وينزل ويتمكر ، وما عجزت الليلة عينا ولا فهاهة ، فأنا
أكتب في الصحف من عشرين سنة ، ولكن الكتابة بالأجرة

سهولة قواعدها فينقلون تلك القواعد شيئا فشيئا إلى لغاتهم
القومية التى تحتاج إلى تعديل .

أما امتناع الحروب فليس سبيله توحيد الكلام ، بل توحيد
البواعث التى يمبر عنها الكلام ، وتوحيد هذه البواعث مستطاع
في ناحية واحدة على وجه التقريب لا على وجه الشمول والاطلاق ،
وهذه الناحية هى ناحية المثل العليا للأخلاق والقيم والأفكار .
فإذا أعجب الناس بفضيلة واحدة واشتازوا من رذيلة واحدة
وتكلموا بألف لغة فذلك أدعى إلى التقارب بينهم من لغة واحدة
يتكلمونها وليس بينهم وفاق في مواطن الاستحسان والاستنكار ،
وليس لهم مقياس واحد يقيسون به أعمال الدول والرجال .

وآية ذلك أن أنجاء الناس إلى وحدة القاييس الخلقية يطرد
في مراحل التقدم والحضارة ، ولم يكن تفرقهم في مذاهب اللغة
والرأى مناقضا لأنجاء التقدم والحضارة في عصر من العصور .

عباسي محمود العقاد

من أهاريث الزراعة :

شهاد العيد ... !

للأستاذ على الطنطاوى



كلفتنى محطة الشرق الأدنى أن أكتب قصة لتذاع عنى
أول يوم من عيد الأضحى ، وهذا هو العيد قد حلّ حلّت عليكم
فيه البركات والخيرات ، ولكن القصة لم تكتب ... إن لها
قصة يا سادة ، فاسموا قصتها ...



أنا رجل من طبعه التأجيل والتسويق ، أؤخر الأمر ما دام
في الأجل فسحة ، وأرجئه إلى آخر لحظة منه ، ثم أقوم كالجنون
أنظأ^(١) قافزا مثل الأرب الذى زعم (أخونا ...) لافوتتين

(١) نطأ الأرض : ذهب .

أو يزبل سببا قويا منها إن لم يُزل جميع الأسباب .

فإن الحروب التى وقعت بين أبناء اللغة الواحدة لا تقل عن
الحروب التى وقعت بين أبناء اللغات المختلفة ، وأمثلة ذلك ظاهرة
في تواريخ الرومان واليونان والعرب والصقالبة والجرمان
والانجليز ، وأبناء الهند والصين .

ونحن إذا رجعنا إلى الحروب بين أبناء اللغات المتعددة
لم نستطع أن نردها جميعا إلى انقطاع التفاهم بين أمة منها وأمة ،
أو بين زعماء الأمة الذين يقودونها إلى الحرب وزعماء الأمم التى
يحاربونها . فربما فهم كل فريق منهم ما يريد الآخر ووقعت
الحرب بينهم لأنهم « يفهمون » لا لأنهم لا يفهمون .

فإذا خطر لنا أن تعمم « الاسبرانتو » يعمم الوفاق ويقضى
على أسباب الشقاق فليس في حوادث الماضى ولا في حوادث
الحاضر ما يبرز هذا الخطر بدليل .

وقاية ما يرجى من تعميم لغة إضافية بين أبناء النوع الانسانى
أن تيسر بينهم المعاملات ويستفيد العارفون بتلك اللغة من

الوجه ، مفتول العضل ، وسخ الثوب ، قد حمل سكيناً في يده طويلة النسل ، حديدة الشفرة ، وهجم بها على صاحبه والناس ينظرون ولا ينكرون ، وصاحبه السكين بصرخ ويتلفت تلفت المذعور ، يطلب القوت فلا يفيته أحد ، ويتننى المهرب فيسد عليه الناس طريق الحرب ...

وإني لأنكر ماذا أصنع ... وإذا بالخبيث العاق يذبحه والله أماناً ذبحاً ، ويتركه يتخبط بدمه ، ويوليه ظهره وبعضى إلى دكانه متمهلاً ، فيعالج فيها شأنه على عادته ، كأنه لم يرتكب جرماً ، ولم يأت الأمر النكر جهاراً !

وكدت أهجم عليه ، وأسلمه إلى الشرط . ثم ذكرت أن الشجاعة في مثل هذا الموطن تهور وحاقة ، وأن المجرم بيده السكين لا يمنعه شيء أن ينجأ بها من يريده بشر ، وطمعت أن يتحرك أحد الواقفين فيقدم عليه فأتبعه وأشد أزره ، فلا والله ما تحرك أحد منهم ، ولا جرؤ على ذلك ؛ بل لقد تكلم واحد منهم ، فلما رفع القاتل رأسه ونظر إليه رأيته يمزج منه ويفزع ، ويقول له بصوت مضطرب متلجلج : « الله يسلم يدك » !

وحررت ماذا أعمل : أبلغ الشرطة ، أو أدعهم وأمضى إلى دارى لا على ولا لى ؟ ثم رأيت أن خير ما أفعل أن أكتب وصف ما رأيت ، وأبنت به ليزاع ويعرفه الناس .

وهأنذا أنهم هذا الرجل بالقتل ، وأدعو الحكومة إلى القبض عليه حتى يعاقب ويكون عبرة لمن يعتبر . ولا يحسن أحد أنه فر ، أو أن القصة متخيلة أو مكذوبة ، أو أنها من أساطير الأولين ، أو من أخبار المصور الخوالى ، فالقاتل موجود في دكانه ، يقدو إليها ويروح إلى بيته ، والقصة صحيحة رأيها بمعنى رأسى وأنا سالم العقل غير مجنون ولا معتوه ، متيقظ غير نائم ولا حالم ، صاح غير غدر ولا سكران ، ثم أتى رأيها الليلة البارحة !

هذه هي الحادثة الفظيعة التي كتب الله أن تكون هي موضوع قصتي التي فكرت فيها وأطلت التفكير فكيف رآها الناس فلم يحفلوا بها ولم يأنبها لها ؟ أفسدت الأخلاق ، وضاعت

بيع وشراء ، ولكل مبيع ثمن ، وأنا أحب أن أنتصف وأنصف الناس من نفسى ، لذلك رأيتهى كلما سقطت على موضوع وزنته فوجدته لا يساوى الثمن الذى تدفعه لى المحطة ، فتركتة وقتشت عن أغلى ، وكلما خطرت لى فكرة طمعت إلى أعلى ، حتى كاد يعضى الوقت ولم أصنع شيئاً ، ونزل لى ما نزل بالأستاذ توفيق الحكيم لما كلفوه أن يضع حواراً للفلم وجعلوا له جملاً ضخماً ، فحصر فيه فكره ، وحشد له قواه ، وفر لأجله من داره . ثم انتهى به الأمر أن ألف كتاب (الحمار) ولم يضع الحوار . عند ذلك أيست ولبست ثيابى ، وهربت إلى الأسواق .

جئت فى الأسواق ، وأسواق دمشق ليلة العيد كأنها المحشر ، قد أوقدت فيها الصايح ، وفتحت الخازن ، وانتشر الباعة ، وتدفق عليها أهل البلد والفلاحون ، بالأزياء المختلفة واللغات المتباينات ، وكل بائع ينادى برفيع صوته ، وكل مشتر يصيح ، وكل محتاز يتكلم ، والبضائع معروضات من كل ما كول وملبوس ومفروش ومنظور ومشعوم ، وكل يريد أن يعد الليلة عدته للعيد فيشتري فيها طعامه ولباسه ...

وكنت أسير فى هذا الزحام شارد الذهن ، نازح الفكر ، أعمل عقلى فى هذه القصة ... التي وعدت بها المحطة ، فأعلنت عنها وبشرت بها ، ثم لم أستطع أن أكتبها ، حتى وصلت إلى (باب المصلى ^(١)) ؛ فإذا أنا بحشد عظيم من الناس قد احتشد حيال دكان ، فدفعنى الفضول إلى معرفة الخبر ، فأقبلت أدفع الناس بكفنى ، وأشق طريقى بيديّ كليهما وأطأ أعقاب الناس وأقدامهم ، وأصنى إلى هذا الفيض العجيب من ... النثر الفنى ... التى جادت به قرائهم ، فتدفق على من ألسنتهم ، حتى بلغت المشهد ، ونظرت ...

نظرت ، فرأيت اثنين يختصمان ويعتركان ، أما أحدهما فكان مسكيناً قتيلاً أعزل عاجزاً ، وأما الآخر فكان ضخماً طوالاً كالح

(١) سى فى أول (ميدان) المصلى فى دمشق ، كان فيه مصلى البعد ، لما كان الناس يعرفون السنة فيصلون العيدين فيه لا فى المساجد .

الذي عطّل الدين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

—»»»»»—

ما رأيت شيئاً أضر الحياة وأضر الدين وحال دون شيوعه في الناس مثل ما عطّله الإيغال فيه والاستغراق في معانيه حتى يصير بعيداً عن متناول عقول أكثر الناس ومتناول جهلهم المحدود وإحساسهم بالحياة ... ويبني لقواد الاجتماع ألا يخطوا خطوة عامة في رحاب الفكر الاجتماعي إلا وهم مقدرون أن جمهور الإنسانية يستطيع أن يخطوها وراءهم.

وقد كان نتيجة ذلك الإيغال أن حياة أكثر الناس انفصلت عن حياة الدين وأنجحت إلى مجرى المادية الصماء — وهو المجرى

المروءات حتى لا ننكر الأمر النكسر ، أم خارت المزائم ، وانخلعت القلوب حتى لا نجرؤ على المجرم الظالم ؟ وهل نامت الحكومة في الشام نومة أهل الكهف حتى ما تدرى بالدم يسيل في شارع من أكبر شوارع دمشق ؟

لقد سكنت الجميع ، حتى أن أنساب القتل قد ناموا عن دمه ، وقعدوا عن الثأر له ، ولم يتقدم أحد منهم شاكياً ولا مدعياً لأن القاتل كما قالوا ، عازم على ذبحهم كلهم إن قدر عليهم ، وماضيه حافل بأمثال هذه الجرائم .

فما سرّ هذا السكوت ؟

لقد علمت السرّ بدمٍ يا سادة ...

ذلك أن المسكين الشهيد كان خروفاً من خرفان الضحية ، وأن القاتل كان جزّار الحارة ، وأن الناس شاركوه في جرمه . فأكلوا لحم الديبج مشوياً ومقلياً ومطهياً ، وأكلت معهم ونسيت من طيب اللحم هذا الشهيد ...

هذه هي سنة الحياة ، يموت المسكين لنستمع نحن بأكلة طيبة . فكلوا منه أنتم أيضاً هنيئاً ، واشربوا عليه مريثاً ، واشتغلوا بالأكل عن مطالبتي بالقصة ، وكل عام وأنتم بخير ! على المظالم

الظاهرى وحده — من غير أن يصحبها الروح السانى الذى يليق بعظمة تفرعاتها المادية وتشتيقاتها .

ولو أن الدين نظر إليه على أنه موقف لازم من مواقف الحياة كالأكل والنوم والرياضة والعلم الخ ... وسائر حياة المجتمع ، وقُوم على أنه « ركن مادي » فيها لا بد أن تقوم عليه كما تقوم على غيره من دعائمها كالتقانون وحفظ الأمن مثلاً ، ولم تلتصق به نزعات التصوف والانطلاق الشعري المشرقين ، وتصوير موقف الإنسان فيه موقف الفناء والإنكار للنزعات المادية التي تستلزمها الحياة بالجسد ، والخروج من الدنيا بالسر والجوع والزهد واستمراء الآلام قبل الخروج منها بالموت ... إذاً لاسارت الحياة الإنسانية في تناسق بين جانبيها الروحي والمادي .

ولو علمنا أن الحياة صادقة أصدق من تلك النزعات الشاذة التي تجلّت في أفراد من التشائمين ، من كل من طلق الدنيا المأمنها أوزهداً في لذاتها ، لتغير الموقف العام ، فإن الحياة الإنسانية في مجراها العام أخذت الإنسانية كلها ، ونقلتها إلى رحاب الكرامات والتسلط والتسخير عن طريق العلوم الموضوعية ومكارم الأخلاق العملية لا الاستغرافات الذاتية الضيقة.

ولا يفرّتنا من شذوذ كل أولئك الصوفيين المفرقين ما تركوه من كلام شعري مزوّق جميل في طيوف وأشباح وأصداء لوجداناتهم المحرومة للوهلة التي تركت طرق الحياة الواضحة ، وأرادت أن تدرك الله الأعلى بمقولاتها المحدودة ، فكانت النتيجة الخمية لذلك المطلب هي بلبلة الخاطر وخفاء البيان واضطراب السير ...

إن الحياة المادية العلمية الظاهرة هي الحكم لصالح حياة الجماعة ، وهي الأفق الأول الذي أراد الله العظيم أن تتجلى فيه أسرارنا ونتائج خلقتنا ، ونتائج جهادنا فيها نتائج دائمة ثابتة ، يراها أطفالنا وجهالنا كما يراها علماؤنا وفلاسفتنا .

وأنا مؤمن بالإنسانية ذات اللطيف الواقعي المستمد من الطبيعة ، ناشدكم كلها عن طريق تكميل سيطرتها على الطبيعة وإدراكها للنفس إدراكاً علمياً وتحكماً في العمل تحكماً صالحاً . ومن الذى سار وراء الشذاذ من الصوفية والتشائمين وأخذ أخذهم في الحياة ؟ إنهم أقل عدد ، ومن صالح الأرض أن يكون

ومن المشاهد الغيبية ، ولكن لا يستطيعون إظهارها ، لأنها يضيئ عنها نطاق النطق كما يقرر الغزالي .

وإني ما قرأت بيان صوفي إلا وجدته خيالا شعريا جيلا ، إن كان صاحبه قديراً ، ورديثاً إن كان صاحبه قاصراً كليل الذهن ، وكثيراً ما أظفر بمثله من بيان أهل الدنيا السائرين على ظاهرها .

وتظهر قيمة القرآن العظيم حين أراه يأخذ المجتمع كله بمنطق وسط صالح للجاعات ، وحين أراه كتاب العدل والائتزان والاعتراف بالحياة المادية والحياة الروحية كأساس واحد لازم للحياة الإنسانية .

والعمل هو روحه ، لا الأمانى الشعرية ، ولا الأغاني الدينية ولا التماس « حسن التعليل » ولا الأماديج التي تتعلق ويتهرب بها صاحبها أو يتشفع بها ويعتذر في مسئولية إهمال الأعمال ، كذلك المآذير التي يتخذها الناس مع رؤسائهم الدينيين . والثواب والجنة الحسية والحسن والرضا والرحمة والاحترام والخير لدى الخير هي من أدواته كذلك في الدعوة وبجازاة الفضائل والطبايع السكرية لأنها منطق الفرائض الصالحة والأخلاق المثلى . وكل أخلاق القرآن هي أخلاق أبناء الحياة بجزءها العاجل والآجل ، الصالحين لمارة الأولى ونموها والماملين لحياة الأخرى والرفعة والرفاهة الخالصة فيها .

وكل عقائد القرآن واضحة مأخوذة من منطق الانفصال بين الإنسان والله تعالى ؛ فلا حلول ولا وحدة ولا اتحاد ، وبين الله والطبيعة ، ومن موقف الخلافة في الأرض خلافة واسعة وانتدخ في شئونها جميعاً ، لا التقليل من شأنها والحرب من مجابهة فتنتها كدار امتحان وكفاح وابتلاء . موقف الاعتراف بقيمة الجسد الإنساني وسمو الروح الإنساني ووجوب الجمع بينهما لصالح الحياة والفكر .

فَلَسْتَدِينُ اللَّهَ بِالْحَيَاةِ ، ولتتبدل بها هي ذاتها ، ولتتخذ منطقاً من سننها التي لا تتبدل وحقاتها التي لا تلتوى ، لأنها منطق الله ربنا وربها ، وما عرفنا الله إلا منها . فكيف نهملها ؟ وكيف نهملها أو نهمل عليها ؟ فيها قوامها ، ومنها دينها .

ذلك كذلك ، إذ لو طأوهم الناس لمطلت الأعمال في الأرض ، ولم تتحقق الأعمال البارة التي للإنسان في المادة وأسرار الحياة

غير أن الإنسانية إن كانت طبيعية بسيرها هكذا فقد أساءت بإهمال جانب الروح فيها باعتباره دعامة أساسية في الحياة ذلك الإهمال الشنيع .

وربما يكون ذلك الأمر محتملاً في العصور السائفة ، عصور القصور والطفولة ، ولكن الآن يجب أن تدرك أنها بلغت دوراً لا يصح أن تسكت فيه على إهمال الجانب الروحي في حياتها باعتبار أنه « ركن حيوى » ودعامة نظامية لحياتها المادية ذاتها ، والحمد لله قد تحول كثير من أحلام الروحيين القدماء إلى أخلاق عملية عامة . والتصوف بمعناه العملى شئ سام عظيم في رياضة الخلق وتطبيع الأعصاب على السمر والخير وإيقاظ الضمير ، ولكنه بمعناه الشعري الذي نراه في شعر بعض القوم ليس أخلاقاً ، وإنما هو أحلام وتأملات مستترقة حادة للخلاص من الجسد لرؤية الحقيقة العظمى والخروج من نطاق الأرض لرؤية ما وراءها ، وهؤلاء قد لا يهتمون بالأعمال والأخلاق كالحلاج وغيره ؛ فواجب أن ننظر إليهم لا كرجال دين يسنون طرقاً ليسير الناس عليها ، وإنما كشعراء استهوتهم الماني الدينية فأسرفوا فيها ، واستغرقوا وانطلق وجدانهم فيها كما استغرق أبو نواس في الخمر وبشار في اللذات الحسية ...

وقد ينظر إلى معانيهم على أنها انطلاقات في « فن الدين » أو موسيق في جوّه ليست ذات محصول ... وقد ينظر إليهم رجل الدين العالم بالعمل على أنهم صنّاع أحلام استهوتهم إلى غير الطريق الجمى . وكل فتح عظيم لهم وتسطيع الإنسانية أن تتفتح به ينتهى إلى « صواب الأحكام » عن طريق البيان ؛ لأنهم أطالوا التأمل وأدمنوا قلبهم النظر في وجوه الأشياء المختلفة . وهذا لا يتيسر لكثير غيرهم .

ولم يأت وصف لله تعالى على لسان أى مخلوق بما يخرج عن نطاق عمله تعالى وصفاته المثلة في الطبيعة التي تدرك بالقوى الواعية وبالحواس .

نعم قد تشرق عليهم لمعات من الأذواق الغريبة عن الحياة

علوم البلاغة في الجامعة

للأستاذ علي الماري

— ٤ —

انتهينا في المقال السابق من مناقشة آراء الأستاذ الخولي فيما يتعلق بعلم البيان ، وقد أغضينا عن أشياء استكثرنا على علم الأستاذ وفضلنا أن تكون من آرائه وتوجيهاته ، فنحن هنا لا نقصد إلا ما يتأكد عندنا أنه من رأيه بمراجعة النسخ المختلفة لمذكرات الطلاب ، أو بأن يشيع الرأي في فصل من الفصول فيشكر فيه مرات . ولقد عملنا بالحكمة المأثورة « ما استقصى كريم قط » فأفكرنا بعضاً وأعرضنا عن بعض . وحديثنا اليوم عن آرائه في باب القصر ، وهذا باب تعرض منه لثورة عنيفة فتاله من حرائرها شر مستطير ، نرى من الحتم علينا أن ننصفه ، وأن نرد إليه كرامته ، فإن مسائل العلم لها عند دارسها كرامة تلو على كرامة عظماء الرجال ، والأستاذ بدأ أولاً فزق هذا الباب إرباً إرباً ، -

ولنعرض أقوال الرجال على موازينها قبل الأخذ بها في تسليم وغرور ... ولنحذر أن نعكس الأمر فنعرض أمر موازينها على أقوال الرجال ، فإن أقوال الرجال متغيرة متناقضة وأقوالها هي ثابتة لا تبدل !

ولكل عقل موهوب الحق في الاتصال بها والاحتكاك بقوانينها ليكون من وراء ذلك اتصال مباشر بعقل الوجود ، وقلب الطبيعة ... !

وقد صارت الحياة تفزو بصدقها قلب الإنسان وتسبويه وتبده عن الخوف والوجل من القرب منها ، وجعلت أبناءها المجاهدين الشجعان هم السادة ، وترك الفارين منها في خوف ووجل يثنون تحت أقدامها وهم يحسبون أن أنينهم هذا شعر ونشيد وحكمة ... ! وما ظفر فيها بالحق إلا من أحس بها وتقرب إليها وبُعد عن أساطير الأولين من المرضى والفارين الذين حرموا من الإحساس بمتفوان شبابها يفيض في كيانهم ...

عبر النعم فهموف

ورمى بكل شئ منه في ناحية . فذهب بقطعة إلى علم النحو ، ومضى بثانية إلى علم البيان ، أما سائر فإبقاء في علم المعاني ولكن بعد أن هاض جناحه ، وتحجف أطرافه . ورأيه أن القصر الجدير بأن يبحث عنه البلاغي هو القصر الادعائي ، أما القصر الذي يعبر عن الواقع فيجب أن يتيق في علم النحو لأنه يؤدي به أصل المعنى المراد فقط ، والبلاغي إنما تمنيه المعاني الثابتة ، وهي المعاني التي يوصى إليها الكلام وراء المعنى الأصلي : « القصر صيغة من صيغ التعبير العربية التي يحتاج إليها في أداء المعاني الأصلية ، وتأتي المرحلة الثانية وهي أن القصر الحقيقي ما دام حقيقياً بمعنى أنه مطابق للواقع فهو مرحلة لا تتجاوز أصل المعنى وصحته ، أي أن معناه النحوي هو دائماً معناه الوحيد ولا يخرج عنه إلى أغراض أخرى . أما القصر الادعائي فبخلاف ذلك كله وراء المعنى الأول لصيغة القصر معانٍ أخرى يرى إليها المتكلم ومن أجلها لجأ إلى هذا الادعاء فأسقط من حسابه كل شيء غير المتكلم فيه وأثبت المعنى الذي عنده له » .

ثم يقول : « القصر الادعائي إذا توسعنا قليلاً في فهمه وتطبيقه فأننا نستطيع نقله من باب المعاني إلى أسلوب من أساليب التعبير الأدبي . فلا نقصر المسألة على البحث اللفظي والدلالة على جزء المعنى الذي هو مطابقة الكلام لمتقضى الحال . إذن نخرج من باب القصر بأسلوب يدخل في البيان لا في المعاني » ، ويؤكد هذا الرأي في موضع آخر : « القصر عندي معنى نحوي لا بلاغي ، أي أنه من الصيغ العربية لازم لصحة المعنى لا لحسنه ؛ فهو يساق لتقوية المعنى لا لجماله ، وأنه لا احتراز فيه ولا نقي فيكون معناه أنه تعبير قوي . يتلخص من هذا أن للقصر استعمالات ثلاثاً :

١ - القصر طريق من طرق التعبير العربي فهو صيغة نحوية لأصل المعنى .

٢ - القصر صيغ بلاغي قوي لتقوية المعنى .

٣ - القصر أسلوب من الأساليب البيانية » .

هذا كلامه . ولإنارة هذه المسألة نقول : إن بعض العلماء يرى أن مباحث النحو يجب أن تفصل عن مباحث البلاغة ، والحد الفاصل بينهما أن البلاغي لا بد أن يكون له ملحوظ وراء المعنى الأصلي ، فإذا لم يكن له غرض من الكلام غير أداء المعنى

الأصلي فلا يدخل أداؤه في مباحث البلاغة . مثال ذلك ذكر المسند إليه ، فانه إذا قامت قرينة تجوز حذفه كان المتكلم بالخيار بين أن يذكره أو يحذفه ، والحال هو الذي يرجح عنده أحدهما فالشاعر الذي يقول :

يا ظبيات القلاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلي من البشر كانت له مندوحة أن يحذف المسند إليه (ليلي) ولكنه آثر ذكره بعد دلالة القرينة عليه لو حذف لغرض في نفسه ، فإذا لم تكن قرينة تدل عليه إن حذف كان الذكر واجبا ، وحينئذ لا يملل هذا الذكر بفرض بلاغي وهكذا .

على هذا الضوء ننظر فيما ذهب إليه الأستاذ الخولى فترى أنه غفل عن أمور أربعة حين رأى أن بعض القصر يجب أن يبعد عن دائرة البلاغة ، ويبقى في مباحث علم النحو :

١ - فاصل الجملة الواحدة في العربية أن تؤدي حكما واحداً مقصوداً لا تتعداه سواء أكانت حقيقة أو مجازاً ، وغالباً ما يتبهم هذا الحكم غرض يسمونه وأمثاله مستتبعات التراكيب ، وهذه الأغراض هي التي يلاحظها المتكلم ويقصدها من كلامه . فاذا أدت الجملة حكيمين مختلفين خرجت عن أصل الجمل العربية ، وكان هذا الاختصار من المقاصد التي يلجأ إليها المتكلم ، وهو مقصد وراء الأداء الأصلي . يقول الشاعر :

وليس أخى من ودنى رأى عينه

ولكن أخى من ودنى وهو غائب فنجد هذا المعنى أدى على طبيعة الجملة ، فاذا أردت أن تسوقه في أسلوب مختصر قلت : ما أخى إلا من ودنى وهو غائب ، فتلجأ إلى القصر لغرض الاختصار .

٢ - من المروف لدى كل من يشدو شيئاً من علوم البلاغة أن القصر في كل حاله يقيده التوكيد والتقوية ، والأستاذ لا يخالف في هذا ولا ينفيه بل يذكره في غير موضع من مذكراته ويراه أدل على إفادة التوكيد من الاختصاص فيقول إن ما نريد إلا إياك أكد من إياك نريد ، وبدهى أن التوكيد ليس غرضاً أول بل هو من أوليات الأغراض البلاغية .

ولمذين الأمرين المتقدمين لم يمد العلماء من أدوات القصر

الألفاظ التي تدل عليه من مثل اختصر وقصر وما إلى ذلك ؛ فمثل قوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء ، وقوله : حور مقصورات في الخيام لا يعد من القصر ؛ لأن الجملة لم تؤد غير معنى واحد مقصود ولا اختصار فيها ؛ فلا يرتبون شيئاً من أحكام القصر على هذه الألفاظ ، ولذلك نحن لا نرى رأى أستاذنا الشيخ سليمان نوار حين يرى أنه يجب أن نمد من القصر كل أسلوب ينحدر منه الذهن إلى معنى القصر وإن لم توجد أداة من أدوات المروفة ، ويعرف القصر بأنه دلالة جملة واحدة على اختصاص أمر بآخر سواء كان منشأ تلك الدلالة الوضع أم العقل أم الذوق فيشمل نحو : لا يسل الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ونحو :

أروني أمة بلغت منها بغير العلم أو حداً الجاني ثم يعجب قائلا « لماذا يجعلون شبه ومشبهاً من صيغ التشبيه ولا يجعلون نحو اختص من صيغ القصر » وأظن الفرق واضحاً بين دلالة شبه على التشبيه ودلالة اختص على القصر الذي رتبوا عليه الأحكام البلاغية الكثيرة ؛ والذوق شاهد عدل في هذا . فإني قولك قصرتك على الشعر من قولك : إنما أنت شاعر ؟ وكذلك لم يجعلوا من صيغ القصر الاستثناء التام المثبت لأنه يؤدي مناه الأصلي لا غير . قال صاحب الأطول : « إذ الاستثناء من الإيجاب ليس القصد فيه إلى الحصر بل إلى تصحيح الحكم الإيجابي ، فهو بمنزلة تقييد طرف الحكم ؛ فكما أن جاءني الرجال العلماء ليس قصرأ كذلك جاءني الرجال إلا الجهال ليس قصرأ بخلاف نحو ما جاءني إلا زيد ، فإن المقصود منه قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم فقط وإلا لقليل جاءني زيد »

ونحن نريد أن نبسط القول في أدوات القصر لنقطع كل حجة على من يتهم العلماء بأنهم ضيقوا دائرته ، وأنهم غفلوا عن مراباه ، وأنهم وضوا في علوم البلاغة ما كان يجب أن يوضع في علم النحو ، وسنقتصر على الطرق الأربعة التي ذكرها الخطيب القزويني في الإيضاح وهو الكتاب الذي يشرحه الأستاذ في الجامعة ويعلق عليه .

« التقديم » قد كفانا الأستاذ مؤونة القول في هذا الطريق

الأخ وحرمة الصاحب . وأما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله :
إنما مصعب شهاب من الله . تجلت عن وجهه الظلماء
ادعى في كون المدح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع
على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون
بها المدوحين أنها ثابتة لهم وأنهم قد شهرروا بها وأنهم لم يصفوا
إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يجهله أحد . واعلم أنه ليس يكاد ينتهي
ما يمرض بسبب هذا الحرف من الدقائق ^(١) .

لعل القارىء يتبين بعد ذلك أننا نخطئ الخطأ الأكبر حين
نتمتع على القواعد جافة مجردة عن شواهدا ، أو نلجأ إلى
الشواهد التي وضعها المتأخرون ثم نحاول هدم القواعد جلة . والذي
قلناه في هذه الطرق المشهورة يمكن أن نقوله في كل طرق
القصر ، وبذلك نجد أن العلماء حين وضعوا القصر في علم المعاني
لم يخطئوا .

٤ - أجاب بعض العلماء عن مثل هذا الاعتراض بما
أعده « أضف الإيمان » ولكنه على كل حال جواب صالح .
وذلك أن التكلم قد تدعو الحال إلى أن يؤدي الكلام مقتضراً
على المعنى الأصلي ، وما زال العلماء يرون أن خالي اللحن يجب
أن يلقى إليه الكلام مجرداً عن التوكيد ، وبذلك يطابق الكلام
مقتضى الحال . قال التفتازاني في الطول : « أن مقتضى أعم من
الموجب والمرجح ، ولا نعلم المناقاة بين وجوب الذكر وكونه
مقتضى الحال ، فلن كثيراً من مقتضيات الأحوال بهذه الثابتة »
وهو جواب عن المسألة التي ذكرناها في أول هذا المقال .

أما الذهاب بالقصر الادعائى إلى علم البيان فأمره أشد غرابة .
وذلك أن علم البيان وضع ليحتجز به عن التعقيد المعنوى ، فهو
يبحث في الجملة من حيث أداؤها للمعنى ، فينظر في ألفاظها
ومدلولاتها وتركيبها ، فرجع مباحثه إلى اللفظ التركيبي ومدى
تأديته للمعنى ، فالتشبيه والجاز والاستمارة والكناية كلها طرق
يمكن البحث في صورها من حيث دلالتها على ما سيقته له ،
وليس كذلك القصر الادعائى فإن الزينة التي فيه ليس لها
مظهر في صورة الكلام ، وإنما مظهرها في اعتبار التكلم ،

وأنه لا يؤدي به أصل المعنى فحسب بقوله : « أما التقديم فإدام
الأصل فيه التأخير أى أن الحالة الطارئة هي التقديم فلا يكون
إلا للمحظ بلاغى » .

« العطف » ومن المسلم به عند العلماء والذي لا يمارض
الأستاذ فيه أن هذا الطريق لا يؤدي به إلا القصر الإضافى ،
وأنه « رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب » وهذه
عبارة ، وطبيعة القصر الإضافى تقتضى ذلك فهو إما لبيان خطأ
المخاطب في اعتقاد الشركة بين الأمرين أو في اعتقاد العكس ،
وإما لإخراجه من ظلمة التردد والخيرة في قصر التبيين ، فهذا
الطريق أيضاً لا بد أن يلاحظ فيه ملحظ بلاغى .

« النفي والاستثناء » . « إنما » قد فات الأستاذ فيهما أن
يرجع إلى الشواهد العربية ، ونظر إلى الموضوع من ناحية القواعد
الجافة مجردة عن شواهدا ، ولو أنه نظر من هذه الناحية رأى
عجبا ، كما يرى أن المرجع الأول للبلاغة وهو كلام العرب يدل
بوضوح على أن هذين الطريقين لا يجيئان حين يراد أصل المعنى
أبداً ، وإنما يجيئان حين يقصد التكلم غرضاً من الأغراض .
فالأصل في الأول أن يجيئاً فيما يجهله المخاطب وينكره ، فإذا جىء به
فما يعلمه لوحظ تنزيل العالم منزلة الجاهل أو تنزيل المعترف منزلة
المنكر « وأما الخبر بالنفي والإثبات فيكون للأمر ينكرة المخاطب
ويشك فيه ، فإذا قلت ما هو إلا مصيب قلته لمن يدفع أن يكون
الأمر على ما قلته ، وإذا كان الأمر ظاهراً لم تقله كذلك فلا
تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبه للذى يجب من صلة الرحم
ومن حسن التحاب : ما هو إلا أخوك . ومتى رأيت شيئاً هو
من المعلوم الذى لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى
صار به في حكم الشكوك فيه ^(١) » .

وأما « إنما » فتجىء فيما يعلمه المخاطب ولا ينكره ولكن
مع ملاحظة غرض غير ما تضمنه أصل الكلام « اعلم أن موضوع
« إنما » على أن نجىء خبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته
أو لما ينزل هذه المنزلة ، تقول للرجل إنما هو أخوك ، وإنما هو
صاحبك القديم ، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن
يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبه للذى يجب عليه من حق

من جنس البلاغة والفصاحة ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه فلكم سبحانه الذيل في إنكاره ثم ضمنا الذيل ما أن ننكره^(١) . أوليس السكاكي هو الأعرج الثاني الذي قيل فيه وفي صاحبه الزغشري : « لولا الأعرجان لساعت بلاغة القرآن » ؟ أفبعد هذا يقول قائل إننا لا نشق في ذوق المتقدمين « وأنهم شملهم كغيرهم ذوق العصر ، ولم تستقم في أذواقهم اللغية غضة طرية عطلا من زيتة وحلية ، ومن ثم كانت ثقافة الاستشهادات والتخريجات ، وكان لجوهرهم إلى الفلسفة هرباً من الناحية الذوقية ، قفاسوا بالشبر والقيراط ، ولم تظهر لهم الزيتة في القوة والمذوبة والسلاسة والنغم فطلبوها بالصبغ والألوان والشمبذة اللقطية^(٢) » .

بح . بح ... لقد قال شوق على لسان أحد أبطاله :

تهددني زياد وأنت ظل لجنون وراوية لماذي
وتزعم أنني نبد لقيس رضيت من المصائب غير هذى
فهل كان يقوله على لسان السكاكي والخطيب وغيرها من
أساطين البلاغة والأدب ؟ !

على العمري

(يتبع)

المدرس بمعهد القاهرة

(١) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٢) من مقال للأستاذ كامل شاهين « الرسالة » (٦٩٢)

مطبعة الرسالة قهرم اليوم

الطبعة الجديدة من كتاب :

في أصول الأدب

للمؤلف أحمد حسن الزيات

يطلب من « دار الرسالة » ومن سائر المكتبات الشهيرة

وثمنه ٢٥ عدا أجرة البريد

فتناسى التكلم لكل حالة غير الحالة المتكلم فيها أمر في نفسه هو ولا مظهر له في أجزاء تركيب الجلة ، وإنما جعلت الجلة مشيرة له ، ففرق بين أن تقول : ماشوق إلا شاعر ، وبين أن تقول : شوق جليل غرّد ثم سكت ، فأتت تبحث في الثانية عن الكلمات وأدائها للمعنى ، وأما في الأولى فأول مرجعك قصد التكلم وغرضه ، والحال التي ألجأت إلى هذا التعبير ، وهذا هو مبحث علم المعاني . على أن العلماء قالوا إن الجلة يمكن النظر إليها من جهات مختلفة فهي من حيث مطابقتها لمقتضى الحال تكون من مباحث المعاني ، ومن حيث أدائها للمعنى تدخل في مباحث البيان ، ولا شك أن القصر بمجملته يلاحظ فيه الأحوال اللغوية . وقد يمكننا على هذا أن ننقل كثيراً من الأساليب إلى علم البيان ؛ فالالتفات بأقسامه الكثيرة ، والتعبير بالخبر عن الإنشاء ، والأسلوب الحكيم ، والتعبير عن الأمر بطريق الاستفهام وما يتصل به من هذه المباحث الطويلة المربضة كل أولئك مما يمكن التمسك لها فتدخل في مباحث البيان ، ولكن أمي غريبة عن علم المعاني ؟

أهناك دأج إلى هذا التزويق ؟ لا .

السألة يجب أن تقتصر على التجديد في قواعد الفن والزيادة عليها أو لنقص منها ؛ أما أن نجدد فننقل قطعة من مكان إلى مكان ثم لا نفعل شيئاً أكثر من ذلك فلا .

وأحب أن أمس هنا همة في آذان الذين ينتصرون القدماء من غير مبرر وهم أن علماءنا الأعلام لم يكونوا أصحاب أذواق مريضة ، ولم يضموا القواعد وهم مغمضو الجنون عما وراءها من الشواهد ، ولكنهم درسوا تراث العرب الأدبي وفهموه وتدققوه ثم وضعوا بعد ذلك قواعدهم - أليس السكاكي وهو مقعد هذا الفن ومفلسفه هو صاحب الرأي القائل بأن إيجاز القرآن لا يدرك إلا بالتوق . وفي ذلك يقول : « واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا^(١) » . ويقول في موضع آخر بعد أن ذكر وجوهاً أربعة للإعجاز « يخلصها ما يمجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر

لصدافته ، فأحضر لي صورة تمثل منظرًا ريفيًا على شاطئ النيل ، ولم تكن ممهورة باسمه ، فقلت له : ضع عليها خاتمتك ، فرفض . ولم أنقل عليه ، لأنني فهمت ما يقصد : الصورة أعجبتني ، ولكنني لا تعجبه ، ولو أنه صانها !

فإذا كان الأستاذ عبد الغني قد نسى شعره ، فذلك لأنه فنان يسخط على ما يفعل ، ولا يرضى عما يبدع ، إذ يتطلع دائمًا إلى الكمال والترقي . ولو رضى الناس عن أعمالهم ما تقدموا . وإكبر الظن أن الصورة الشعرية تكون في ذهن بالغة غاية الروعة ونهاية الكمال ، غير أن تحقيقها في السادة ، وصياغتها في أبواب من الألفاظ هو سر نقصها . والمادة هي علة النقص في الوجود .

وأذكر حادثة أخرى من نوع آخر :

ركبت المترو من عماد الدين ، حتى إذا بلغت مصر الجديدة في إحدى محطاتها المتوسطة ، سألتني أحد الركاب - وكان يجلس أمامي - هل هذه الحافظة لك ؟ فنظرت إلى جانبي فראيت مكان الراكب الذي كان إلى جوارى خاليًا ، ورأيت حافظة نقود ليست حافظتي . قلت : إنها ملك الراكب الذي نزل ! وهنا سألت نفسي : ما شكله ؟ هل هو شاب أو شيخ ؟ هل هو هزيل أو بدين ؟ هل هو أبيض أو أبيض ؟ كل ذلك لم أذكر منه شيئًا كأن أحدًا لم يجلس إلى جانبي . ثم تناولنا الحافظة وفتحناها ووجدنا فيها أوراقًا باسم « عماد » . وبدأ لي أن أنادي هذا الاسم لعل صاحبه يستجيب ، فقلت : عماد ... والتفت شاب أوشك أن ينصرف في أعماق الشارع ، ولوحت له بالحافظة فأدرك المقصود ، وعاد مسرعًا وأخذها شاكرًا . هنا فقط تذكرت : أو على الأصح تعرفت عليه ، وبأن لي أنني تأملت هذا الشخص حين كان إلى جوارى ، إذ كان يقرأ كتابًا باللغة الإنجليزية فيه أشكال رياضية ، واستنتجت عند ذلك أنه طالب في كلية الهندسة أو كلية العلوم ، وكان يلبس بظلونا وقيصًا فقط . ثم سألت الراكبين : هل يذكر أحدكم هذا الشخص ؟ فقالوا جميعًا : لا . قلت في نفسي : لو أن هذا الشخص ارتكب حادثة أو جنائية ، ولم تكتشف إلا فيما بعد ، ثم طلبنا البوليس إلى الإدلاء بالشهادة فماذا كنا نجيب ؟ ثلاثة رجال لا يتذكرون شيئًا عن شخص رابع ظل يجلس معهم نصف ساعة على الأقل ، ووقمت أبصارهم

من غرائب النسيان . . . !

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كنا جماعة نتحدث في شتى الشئون ، فأطلعنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن على كتاب فرنسي طبع حديثًا نقل فيه صاحبه مقتطفات من الشعر العربي إلى اللغة الفرنسية ، وكانت إحدى هذه القصائد بعنوان « تحت الشراع » للأستاذ عبد الغني ترجمها الناقل عن مجلة « الرسالة » عام ١٩٤٠ . وتبعنا الشعر الفرنسي محاولين رده إلى أصله العربي فمجزنا ، وهنا طلبنا من صاحب الشعر - أي الأستاذ عبد الغني - أن ينشد شعره الذي نظمه ، فأجاب : لقد نسيت ! قلنا : ألا تذكر مطلع القصيدة ؟ قال : لا . قلنا : ولا بيتًا واحدًا ؟ قال : لا . وهنا بلغ منا المعجب مبلغه ... كيف ينسى صاحب الشيء شيئًا هذا النسيان الغريب ! ومن المعروف أن كثيرًا من الشعراء يحفظون شعر أنفسهم ولا ينسون وينشدونه في المناسبات . ومن هؤلاء على سبيل المثال صديقنا الشاعر غنيم . غير أن السؤال الذي يحتاج إلى جواب هو : لماذا ينسى المرء أعماله وآثاره ، وبمعنى آخر : لماذا ينسى نفسه ؟

قلت في تحليل ذلك - وسكت الأستاذ عبد الغني عند هذا التحليل دون تعليق - : إن الشاعر شخص مبدع خالق مبتكر قبل كل شيء ، مثله في ذلك مثل الفنان الذي يبدع آثارًا فنية ، كالتماثيل التي يصنعها النحات ، أو اللوحات الزيتية التي يرسمها المصور ، والشعر كالتماثيل أو كاللوحات الزيتية ، يتركب من شيئين : من المعنى الحائر في ذهنه ، أو الفكرة البتدعة في صفحة الخيال ، ومن مادة يصوغ فيها الفنان هذه الفكرة : فادة التمثال الرخام أو النحاس ، ومادة اللوحة الألوان ، ومادة الشعر الألفاظ . وكثيرًا ما يسخط الفنان على عمله فلا يرضى عنه ، وعندئذ يحطم النحات تماثله ويكسره ويأبى أن يظهره ، أو يحرق المصور لوحته ، وقد يتركها دون أن يتمها ، أو يأبى وضع اسمه عليها . تعرفت بمصور بمدينة المنصورة كان يشتغل مدرسًا بها ، اسمه الأستاذ حلمي ، ثم طلبت منه صورة زيتية من ريشته أحفظ بها تذكاريًا

فيضان النيل . . .

بين التفاؤل والتشاؤم

للاستاذ عبد الفتاح البارودي



ذكرتني القصيدة التي نشرتها « الرسالة » تحت عنوان :
(وحي فيضان سنة ١٩٤٦) في عددها رقم ٦٩٣ بالفرع البالغ
الذي أصاب البلاد جميعاً إبان اشتداد الفيضان في أغسطس الماضي ،
وغنى عن البيان أن النكبة كانت جسيمة . وأن الخسارة الناجمة
عنها كانت ولا تزال فادحة ، ولكن هل كان ينبغي أن يصل
الأمر إلى هذا الحد من التشاؤم الذي شاهدناه مراتها وقتئذ
على وجوه الناس والذي صورته كل الصحف بلا استثناء والذي
أوحى إلى العامة أن يصف الفيضان (بالهول العظيم !!) ويصف
مياه النيل بأنها (ترد البلاد كأنها أغوال !!) ؟

عليه ، وشاهدوه ، ثم ينسون كل شيء . عنه ... هذا أمر عجيب !
والأغرب من ذلك اتفاق الثلاثة على هذا النسيان ! اللهم إن
شهادة الشهود في المحاكم أمر مشكوك فيه ، ويجب على القضاة
أن ينتبهوا إلى هذه الحقائق النفسية الثابتة بالخبرة والتجربة !

لا أملك الحديث عن زملائي الآخرين ، ولكنني أعرف
نفسى . فأنا حقيقة كثير النسيان ، وعلى الخصوص فيما يتصل
بالأسماء الأشخاص . وهذه مسألة تحدث لي كثيراً من الخجل
والإرتباك عند ما أكون في محبة صديق ، ثم أقابل صديقاً آخر
في الطريق مثلاً فأحبيه ويحييني ، ويستوقفني يتحدث إلى ، ثم
أحاول أن أقدم الشخصين أحدهما إلى الآخر ، وهنا تخونني الذاكرة
فأفتقد اسم صديقي ، وقد يكون عزيزاً لدى أعرفه من زمن
طويل ، وليس ما يدعوني نسيان اسمه ، فأقع في الحيرة والخجل ،
وأجأ إلى الحيلة فلا أقدم أحدهما إلى الآخر ، وأضرب مصفاً عن
هذه المجاملات الاجتماعية الضرورية .

وقد تسألني : وما علة هذا النسيان ، وما سبب نسيان أسماء
الأصدقاء بالذات ؟

الواقع أنني لم أعثر على جواب يقنعني ، ولعل أحداً يتبرع
بالجواب ...
أحمد فرار الوهواني

صحيح أنه كان لشدة اهتمام الحكومة وقلقها ومظاهرها الرعب
التي بدت على تصريحاتها أثر محسوس في الإشعار بالخطورة ،
ولكن ليس المفروض من جهة أخرى أن التزاماتها ومسؤولياتها
قد تسوغ لها « تقدير البلاء قبل نزوله » لتهدئ الشعب لاحتماله
أو دفعه أو توقيه بالحيلة والحذر والعمل تهيئة جدية ؟ ومع
هذا فالإجراءات التي اتخذتها — وقصارها اعتماد مبلغ ٢١٠
آلاف جنيه وتشغيل بعض الأيدي العاملة — كان ينبغي أن
ترشدنا إلى أن الحالة كانت مطمئنة أو على الأقل غير مروعة إذا
قورنت بالسوابق في الفيضانات التي انتابت البلاد الأخرى في
القديم والحديث ، بل إذا قورنت بالسوابق الغير بعيدة في فيضانات
النيل ذاته « نسيماً » : ذكر ابن تفرى بردى في (النجوم
الزاهرة) أنه كان يرصد لمارة جسور النيل وانقاء فيضانه ثلث
الخراج سنوياً ، وحكى ابن لبيعة أن المرتبين للوقاية من الفيضان
سنوياً مائة ألف وعشرون ألف رجل : سيمون ألفاً للصعيد ،
وخمسون ألفاً للوجه البحري . ورغم هذه الاحتياطات الشديدة
فقد روى ابن زولاق أن أحمد بن المدير لما ولى الخراج بمصر
كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها .

أي أن الحالة التي كانت استفحلت هذا العام لم تكن غريبة
على الوادي ، ولم تكن تستلزم ولا تحتمل التشاؤم الأسود الذي
قابلهنا به ، بل إنى أزعج بكل شجاعة — صدقات الأوان —
أن التفاؤل المطلق كان أنسب لها وأحرى بنا !! لماذا ؟ أبداً
فأقول إن الحجة حاضرة ولكنني أريد قبل أن أسوقها أن أسوق
من بعض حوادث أسلافنا بهذا الصدد عبرة وقياساً ولو لجرد
الترفيه الفني والتذكير التاريخي : جاء في (نهاية الأرب)
للنويري أن النيل يبلغ تمامه إذا وفي ستة عشر ذراعاً ، والذراع
أربعة وعشرون إصباعاً بمقياس مصر . أي أنه بالبلداهة إن زاد
عن ١٧ ذراعاً مثلاً كان مُترقاً وإن نقص عن ١٣ ذراعاً مثلاً
كان مقحطاً . فما الرأي في أن الناس كانوا يتفانون بزيادته مهما
أغرقت ويتشاءمون من أي نقصان مهما قصد واعتدل ؟ وما الرأي
في أن الحوادث كانت تؤيدهم دائماً تأكيداً إن يكن غير منطقي
إلا أنه واقعي ؟ فتلا عند ما بلغت زيادة النيل أقصىها (١٩ ذراعاً)
في سنتي ٣٣٣ هـ ، ٤١٠ هـ تصادف أن كانت حوادثهما جميعية
في الغالب . ففي السنة الأولى تزوج ابن الخليفة المتقي بالله بنت

لهم في أحد الميادين . فلما أصبح الناس لم يروا إلا بقايا عظامهم
إذ كان الشعب الجائع قد أكل لحومهم أثناء الليل !!

هذا مثل واحد من أمثلة المجاعات التي كانت تحدث بسبب
انخفاض النيل ، ولذلك أجمعت الروايات المختلفة على أنه « كان
يحصل لأهل مصر إذا وفي النيل — بغير تحديد — فرح عظيم
بحيث أن السلطان يركب في خواص دولته وأكابر الأمراء في
الحراريق إلى القياس ويمد سماً بأكمله كل منه الخواص والموام
ويخلع على القياس ويصله بأجزل الصلات » ونحو ذلك .

فلماذا لا نمارس منطق الحوادث ، ومنطق الحقائق ، ومنطق
التاريخ معاً ، ونتماءل أعظم التفاؤل من الفيضان الذي دهمنا هذا
العام — بشرط عدم الهاون أو التراخي في تدبير وتوفير وسائل
المكافحة الداعة مستقبلاً — فلعل خطورته أن تسفر كالمهذبها
عن مصادفة سعيدة ، ولعلها أن تكون تحقيق « الجلاء ووحدة
وادي النيل » .

عبد الفتاح البارودي

لم يبق في إدارة الرسالة

إلا نسخ محدودة

من كتاب :

دفاع عن البدو

للأستاذ

أحمد الزيات

فيدار إلى طلب نسختك من « دار الرسالة » .

ومن المكاتب الشهيرة ومنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد

ناصر الدولة بن حمدان التغلبي وتآلفت قلوب المسلمين ... وفيها
أطلق الروم أسارى المسلمين ... وفي السنة الثانية فتحت بلاد
الهند وغنم المسلمون بغنائمها ... الخ . هذا بينما عند ما بلغ انخفاض
النيل (١٢ ذراعاً) فقط في سنتي ٣١٥ هـ ، ٣٥٦ هـ تصادف أن
كانت حواشهما محزنة في الغالب . ففي السنة الأولى غضب الناس
على والي عبدويه بن جبلة وحزنوا كذلك لوفاة زينة بنت جعفر
زوجة هرون الرشيد ، وكانت أعظم نساء عصر هادينا وأصلاً وجلاً
وصيانة ومعروفاً ... وفي السنة الثانية مات السلطان معز الدولة
ابن بويه ، وقبض على الملك الناصر وولده أبو تغلب ومات الإمام
العلامة أبو الفرج الأصبهاني مصنف كتاب الأغاني ... الخ .

مصادقات . ولكن أعجب ما فيها دلالاتها الطارئة في سني
الرخاء والجذب على السواء .

فإذا تركنا التكهّنات إلى الحقائق . وجدنا بالاستقراء
والاستقصاء أن وادي النيل لم يصب نكبة واحدة بسبب
الفيضان أياً كان بطنياه في حين أن المجاعات الفظيمة في مصر
كالمجاعة التي حدثت في آخر حكم الأسرة السادسة الفرعونية ،
والمجاعة التي حدثت أيام يوسف الصديق ، والمجاعة التي حدثت
في العهد الفاطمي وعرفت باسم « الشدة المستنصرية » ، والمجاعة
التي حدثت في عصر المهالك زمن السلطان كتبغا ... إلى آخر
المجاعات التي روعت الوادي واجتاحته في مختلف العهود تدل
دلالة قاطعة على أن سببها الوحيد المباشر هو انخفاض النيل على
تفاوت . وأظن أني لست في حاجة إلى وصف حالة البلاد وسكانها
أثناء هذه المجاعات فذلك مذكور مشهور في كتب الأدب والتاريخ .
ومن قبيل التمثيل أذكر بعضاً مما حدث أثناء « الشدة المستنصرية »
في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، فقد وصل الأمر إلى حد
أن أكلت النساء أولادهن الموتى ، وأكل الناس الحيوانات البتة
من كلاب وقطط وحير وغيرها للدرجة أن تسبب من التهاقت
عليها ارتفاع أثمانها وصعوبة الحصول عليها ، وزادت الهمة اشتداداً
حتى كاد الناس من هول الجوع يأكل بعضهم بعضاً . روى
أن وزير المستنصر نزل عن بقلته أمام باب القصر وتركها تحت
حراسة غلامه فبهجم ثلاثة رجال على الغلام وأخذوا البقلة قسراً
وذبحوها وأكلوا بعضها وباعوا الباقي فقبض عليهم وصلبوا عقاباً

من يد ذات سوار

إلى مفضرة الأستاذ على الطنطاوي

—>>><<<—

موضوعاتك ياسيدي صفقات رابحة في عالم الأدب ، ونفحات عاطرة من أريج القلم . ومن أنا حتى أستطيع أن أقول ما يمن لي تلقاءها ؟ وأأسفاه ! لست ربة قلم ، ولا صاحبة بيان ، وليس لي من الحول والطول ما يمينني على نشر ما يجول بفكري وخطاري . بحث بمقال مرة رداً على أحد الكتاب إلى إحدى المجلات ، فكان نصيبه الإهمال . وكم فرحت كثيراً لأنه لم يُنشر ، ذلك أني بعد أن بحثت به تذكرت : (إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفافها) . فإنا أن أكتب في « الرسالة » بين كتاب الأدب الرفيع وإلا فلا .

ولو أن الله وهبني من العقل كفاء ما وهبني من الحس لكان لي في ميدان الكتابة شأن . ولقد شاء الله أن أندوق فنون الكلام وحلاوة البيان ، و « الرسالة » فضل كبير في هذا التدوين ، فقد عكفت على قراءتها بانتظام منذ أكثر من عام ، وعشت بنفسى وحسى مع كتابها العظام ، أحل لم من التقدير والاحترام ما لا ينضوي تحت صفة ولا معرفة ، وأنت ياسيدي الطنطاوي من هؤلاء ، فلو رأيتني حين أقرأ مقالاً لك ، لوجدتني تسوالة بها جولة في عالمي الصغير باحثة عن زميلة تشاركني السرور في تلاوتها ، خصوصاً ، وأنت من قطر شقيق لي فيه سديقات تتجلى في سجاياهن أرفع آيات المودة والإخلاص والنبيل . وإني أخشى أن أثيرك بهذه المجالة فيصيبني من براعك ما لا أنصاه ما عشت .

إن استهلاك في موضوعك (مناظرة هادئة) يقولك : (نحن معشر الرجعيين لا نرى قتال المرأة ولا نزاهة) هو الذي شجعتني على أن أقف أمام مقامك الكريم موقف التليذ من معلمه — ويحيى !! وهل لمنلي أن تطمع في هذا الشرف ؟ .

لو كنت من قريباتك ... مالي أقول هذا والسلام أخ المسلمة وهي أخت له . وإذن لي — بهذه الأخوة — عليك دالة خفيفة

مشفوعة بالأدب والطواعية ، وعلى ذلك أتقدم إليك قائلة : إن موضوعاتك كلها تأخذ بمجامع قلبي ، وتنغذي روحي ولبي ، وكلها من صميم الواقع الملموس ، غير أن بعضها موثى بقليل من المغالاة والحادثة ، وإن الموضوع الذي عنوانته (مناظرة هادئة) كان أقن أن تسميه (مناظرة نائرة) . ألتست معي في أن لفظ مناظرة فيه معنى النظير ، وهذا لا يتفق مع ما بدأت به مقالك . يعلم الله أنني تلوت هذه المناظرة بشغف ، ولم المس في غرضها ذلك الهدوء الذي نمتها به ، وإنما لست فيها صرخة مججلة وتهداراً . إنه لا يزال يتوارد على نفسي ، ورن في سمى كل يوم حديث تلك القصة التي طلعت بها علينا في صفحات « الرسالة » عن تلك الفتاة التي صوّرت عارية ، فسجلت بذلك على هذا العربي الذي فعل هذا الفعل خزيًا لم نسمع به من قبل . يا للعار والقسوة أيجدث مثل هذا في بلد عربي ؟

إن القلم الذي تحمله رهيف يحز في نفسي ، ويترك أثره في حسي ، فهل رأفت وخففت من إرهافه ؟ رأفت ! كيف أقولها وأنت الذي في ثنايا فؤادك (رققاً بالقوارير) .

إني لتعجبني تلك النزعة التي تنزع إليها في مناهضة السفور واختلاط الجنسين ومشاركة المرأة الرجل في أعماله ، ومن المعروف أن النهضة النسائية قام الرجل فيها يقسط كبير ، وكانت له اليد الطولى في توجيه دفنها ، ومادام الرجل قواماً على المرأة فهو الذي يحمل وحده وزر هذه التبعة ، وهو الذي فتح عليها سدود النهر فجرفها التيار ، ثم بعد ذلك قطعت شوطاً بعيداً في عالم الأزياء ، وقلدت الأجنبية ، وحملت الشهادات من بكالوريوس ودبلومات

إن هذه الخلة التي تقوم بها تكون أجدي لو أرسلتها صواعق متوالية في غارات مدوية على الذين يبدعون مقاليد الأمور والحكم ، فإن هؤلاء في مقدورهم أن يحملوا الناس على السير بتعاليم الإسلام ، وفي مكنتهم إغلاق أبواب الفجور ، ومنع إصدار الصحف التي تخدش كرامة الفضيلة .

يا للإساءة التي تصبها على التعلقات يقولك : (ويجمعهم مجلس يد هذا كله بالعاميات الجاهلات) . فلا تجدهم أصح منهن فكراً ، ولا أبعد نظراً ، ولا ترى لهذا الحشد من العلومات الذي جمع في رءوسهن من أثر في المحاكمة ولا في النظر إلى الأشياء ،

إن السيدة المتعلمة الراقية المستنيرة لا ترضى على الإطلاق أن تلقى في زوجها (حماراً) تركبه - كما تقول - إلى غايها . إنها ترفض في شتم وإيذاء أن تفقد احترامها للرجل الذي يشاطرها الحياة ، ولا بد لها من الإحساس بأنه السيد المطاع القوام الذي تخافه رغبة لا رهبة . وقياساً على هذا أقول إن أزواج التعلات كلهم أشقياء؟ إن كان الإيجاب ، فيالشارجهم ، وسواد عيشهم ! إلى استحييت مرة من قراءة بعض العبارات التي وصفت بها محاسن المرأة وصفاً سافراً ، ولولا حرصى على قراءة أفكارك كلها لأبيت قراءتها .

وما يمجبنى إلا كتابتك في الحب والنزل ، وحن وصفاً للفوانى . قديرٌ قديرٌ - بلا شك - في ألوان الكتابة . أوليس في هذا الكفاية لما تحمله من احترام المرأة وإكرامها ؟ كثيراً ما ندفعني مقالاتك إلى الكتابة . لعل فيها سرّاً . يجب إلى الأخذ بنصية القلم ، ولكنى لا ألبث أن أدعه هية وإجلالا .

لا أدري كيف كتبت هذا المقال الجرى ، مع أنى أعلم أنى أمام جهبذ من جهابذة الأدب ، فأعذرنى ياسيدى لأن الحق أنطقنى . لا يفضيئك هذا القول ، فما قصدت به إلا الترفيه عنك ، ليحول من صدرك نبزاً منك بالمرأة المتعلمة . وعسى أن تجد فيها كتبتة صاحبة اليد ذات السوار - كما وصفتها - رَوْحاً وترويحاً ... واللام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(بر زات سوار)

ظهرت اليوم

الطبعة الجديدة من كتاب :

في أصول الأدب

في ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً

فكأن هذه المعلومات التي تصب في أسطوانات الحاكى (الفونوغراف) إن أدتها سمعت لهجة فصيحة وكلاماً يئسنا ، ونشأ حلواً فتقول إنها تنطق ، فإذا سألناها وكلتها رأيتها جماًداً أخرس ليس فيها إلا ما استودعته من الكلام الملحن .

هذا يا أستاذ كلام لا تقبله فتاة ولو كانت نصف متعلمة مثلى . هذا يجرح لإنسانيتها التي يكتنفها العقل والشعور . (جماًداً أخرس؟) (يا لبشاعة الوصف والتشبيه ! (جماًداً أخرس؟) كيف ؟ وقد برأها البارى إنساناً ضاحكاً ناطقاً فيه حركة ولب وإحساس . هذا لا يُستغرب لأنك لا تؤمن بالإنسان .

إن لي صديقات ، وأعرف جماً غفيراً من السيدات والفتيات كلهن متعلات وحاملات للشهادات ، ولسن كما تقول ، فإذا جمك بهن مجلس وسمت حوارهن وقاشهن لا يسمك إلا أن تنفّر رأيتك في بنات هذا الجيل ، وإذا كنت تصف المثقفة بالجماذ الأخرس فهذا تصف الجاهلة ؟

قل ما شئت من ناحية الدين في فتاة العصر ، فإنى أشايحك على كل ما تقول ، ولو أن هنا في مضرهضة نسائية دينية مباركة ، يملك زمامها جمعية الأخوات المسلمات ، بارك الله فيهن ، وحقن على أيديهن ما يرضاه الدين للمرأة المسلمة . أما من ناحية العلم والنطق فاليسون شاسع والشقة بعيدة بين الجاهلة والمتعلمة .

لست بهذا أدافع عن نفسى ، وإنما الدقاع واجب على من عرفت فيهن سداد الرأى واستقلال الفكر وبعد النظر ووزن الأمور بميزانها .

وقلت أيضاً : (ثم إن تزوجن لم يمتزن إلا بإعمال الولد الخ) . وأقول أنا إزاء هذا : إنى أعرف سيدات فضليات متعلات ، لا جاهلات عاميات ، ينشئن أطفالهن أحسن تنشئة ، ويحرصن على تربيتهم بأنفسهن ، ليكون منهم في المستقبل رجال نابهون ، وأجناد مجاهدون ، وقادة محتكون .

إن تلك التي تهمل طفلها وتتركه بأيدي الخدم خرقاء ولا تُمد في سواد النساء .

(إنه لا يجب إحداهن إلا أن تلقى في زوجها حماراً) هكذا قلت . ولكن أكل هؤلاء الرجال الذين تزوجوا متعلات تخدم في شرحتك - ميراً ؟ (مآذ الله) من فيهم يرضى بهذا ؟

الأدب في سبر أعمره :

ملتين . . .

[الفيتارة الخالصة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال . . .]

للاستاذ محمود الخفيف

- ٣٣ -

البطل الضرب :

أدت نظرة ملتين إلى المرأة أنها دون الرجل منزلة وعقلا إلى إهمال منه معيب في تعليم بناته فكبرن وحظهن من الثقافة قليل ، وكن لا يعرفن إلا لغتهن إذ رفض أبوهن أن يعلمهن لغة غيرها . وكان يقول في ذلك ساخراً « حسب المرأة لسان واحد » ؛ وكان أبوهن في شغل عنهن أكثر الأوقات بكتيباته وخصوماته وأعباء منصبه فكان يترك أمورهن للخديم . والحق أن ملتين كان متخلفاً عن عصره في النظر إلى تعليم البنات ولذلك لم يشابع كومننس حين كتب هو عن التعليم رسالته التي سلفت الإشارة إليها إذ كان كومننس يذهب مذهب أفلاطون في المساواة بين البنين والبنات ، وكان لا يعنى ملتين إلا بالبنين ، وعنده أن من العبث تعليم البنات كما تعلم الكائنات العاقلة على حد تعبيره .

وأملت عليه بيوريتانته أن يحيط بناته بشيء من الخشونة فلم يتمتع البنات إلا قليلا ، فأحسن استبداده بهن وإن لم يشعرن منه بفظظة أو فظاظه ، وزاد إحساسهن شدة حرمانهن من أمهن ، فقر في نفوسهن شيء يشبه أن يكون جفاء منهن لأبيهن .

ولما عاد ملتين إلى الشعر وأراد أن يرجع إلى الكتب التي تتصل بموضوعه ، كان يقرأ له ويكتب رجل استأجره لذلك ، ولكنه كان لا يعرف غير الإنجليزية حتى لقد شكوا ملتين في كتاب إلى صديقه أنه كثيراً ما يتضجر ويضيق بهذا الكاتب الذي يضطره إلى أن يذكر له هجاء كل عبارة لا يتبينه عليها

عليه كلمة كلمة ، وكان يقرأ له أحياناً بعض الشباب ممن تنافسوا في الخطوة بهذا الشرف ومن طلبوا الفائدة من القراءة له ، كما كان يرسل بعض أصدقائه أبناءهم ليحفظوا عنده بالقراءة أو الكتابة له وليقوموا بذلك ألسنتهم وليفيدوا عرفانا وبياناً .

ولكنه كان لا يضمن مجيء هؤلاء إليه كل حين ، وعلى ذلك فقد عول على تعليم بناته النطق باللغات المختلفة وهن لا يفهمن شيئاً مما تتحرك به ألسنتهن وبذل في ذلك جهداً كبيراً وهو على حاله من المرض والعمى ؛ وإنه لعجب أن يحرص هذا الحرص كله على المعرفة فلا يقعد عن وسيلة مهما بلغ من عمرها وإنها لحالة تملأ النفس أسى على ما مسه من ضر بقدر ما تملؤها إعجاباً بزمجته التي لا تعرف كاللآل ولا ساماً . ولا ريب أنه كان يستشعر كثيراً من المرارة والحزن في تلك اللحظات التي لا يجد فيها من يقرأ له أو يكتب ما نظم من الشعر ، ولم يك له عزاء في هذا البلاء إلا استغراقه في قصيدته الكبرى وإقباله عليها بكل جوارحه وارتياح نفسه إلى أن يحقق أملاً طالما طاف بخياله وأثلج فؤاده وأبهج نفسه .

وكان يدعو بناته ليقرأن له ما يطلب من الكتب اللاتينية والعبرية والأغريقية والفرنسية واليطالية والأسبانية ، فينطقن نطقاً آلياً بمبارات لا يفهمن منها بالضرورة شيئاً ؛ وكن يضغن بهذا ويتبرمن به ويتضجرن منه ، وحق لمن أن يكرهن هذا العمل كرهاً شديداً ، فإذا دعاهن أبوهن إليه أقبلن متاقلات متكرهات ، ثم اعتذرت كبراهن بما في لسانها من حصر لا تحسن منه النطق فأعفاها أبوها من القراءة وجعلها للكتابة فوق عتبة القراءة على الوسطى فازدادت بذلك ضيقاً وضجراً . وما زال يشتد ضجر ماري وهي الوسطى حتى أصبح تمرداً وعصياناً فصارت تهمل ما يطلب إليها أبوها متفائلة أو متناسية .

وكانت تعرض عنه أحياناً ساخطة ناقة ؛ وصبرت دُبراً وهي الصغرى بعض الصبر ، ولكنها ما لبثت أن تكرهت لأبيها وخشنت عليه وما برحت تشكو لأختها أنه يدعوها في أي ساعة من ساعات الليل فيوقظها وهي مستغرقة في نومها لتكتب بضعة أسطر نظمها .

ولست هذه المقطوعات من نقاية الشعر كما قد يخيل إلى المرء فإن لها لشأناً جليلاً في ذاتها ومنزلة سامية في تاريخ هذا النوع الذي نسميه المقطوعات ، ولذلك نرى أنه يجدر بنا أن نتكلم عنها ونبين مبلغ ما لها من خطر في الشعر الإنجليزي قبل أن نتكلم عن الفردوس المفقود وما جاء بعدها .

جاء ملتن من هذه المقطوعات بما لم ينته فيه كثير من أفذاذ هذا الضرب من النظم منتهاء ، ولقد قلّ فيه أكفاؤه وذهب له فيه صيت عظيم جملة نداء لشكسبير في هذا الباب على قلة ما نظم منه بالقياس إلى شكسبير إن لم يك يبرعه في أكثر من ناحية من نواحيه . ولقد أصبح فيه مثالا لمن جاء بعده فاحتذى حذوه وأعجب به وردنورث وكتيس وغيرهما من شعراء القرن التاسع عشر . ولا بد لنا من كلمة في أصل هذه المقطوعات ونشأتها لا في شعر ملتن وحده ولا في الشعر الإنجليزي وحده وتبكن في الشعر الأوروبي بوجه عام ثم نمط الكلام بعد على مبلغ ما توافى للمتن فيها من براعة وتبريز .

لم يقطع نقدة الأدب الأوروبي برأى في نشأة المقطوعات^(١) وتسميتها بهذا الاسم الذي سموها به ؛ ويرى بعضهم أن الإيطاليين هم مبتدعوها ، وأن اسمها يرجع إلى لفظ إيطالي معناه اللحن الصغير أو الصوت الصغير^(٢) وهو لحن كان يغنى على عود أو قيثارة . ويرى فريق آخر أن منبها كان في فرنسا في مقاطعة بروفانس وأن اسمها نجم من تلك الكلمة الفرنسية التي تطلق على الجرس الصغير^(٣) أو جرس الفئات . ويذهب البعض إلى أن أصلها أغريق وأن الأغريق اختاروا لها لحنها ووضمها للفن بعد أن مرت على عدة أطوار من الخلق والابتكار . ولأحد النقدة وهو وليم شارپ رأى غير هذه جميعاً فهو يردّها إلى أغاني الرعاة في صقلية وجنوبي إيطاليا ويرى أنها انتهت إلى وضعها المعروف بعد أطوار مختلفة ، ويرد اسمها إلى الاسم الذي كان يطلق في هاتيك الجهات على أغنيات الفلاحين والرعاة^(٤) على وجه العموم .

وتفانم الأمر فكره البنات أباهن حتى ما يطقنه ؛ قالت الوسطى مرة وقد سمعت أنه يزعم أن يتزوج « ليس في الحديث عن زواجه ما يعد جديداً من الأنباء أما أن اسمع بموته ففي ذلك ما يؤبه له » .

وتأسر البنات مع إحدى الخدم على غشه فيها يشتري ويبيع مما يحتاج النزل إليه ، وفعلن أقبح من ذلك فأعنى الخدم على بيع كتبه بغير علمه فإذا علم بشئ من هذا مس الحزن قلبه مس شديداً ولكنه يكظم غيظه ويكتم أمره عن الصجب والجيرة مخافة المار ، وكم كان وقع ذلك ألماً على نفس كبيرة مثل نفسه ، وكم كان يشعر ذلك بما آل إليه حاله من استكانة بعد عزة ، ويذكره هذا الضر الذي أحاطه بالظلمة فجعل من بناته عدوات له . ولكن روحه قوية على الرغم من هذا كله ، وإقباله على قصيدته واستشرافه لآفاقها الفسيحة العليا يدفع عن نفسه القنوط إذ يرفها من عالم صغير حقير إلى ملكوت لا يدرك جلاله وعظمته إلا عقل مثل عقله وروح مثل روحه . ولقد كان له في الشعر أعظم الغزاء وأطيبه وإن كان يعمد أحياناً إلى قيثارته فتختلج أوتارها بين يديه بلحن يسرى به عن نفسه أو يعي به جوأ ملائماً لما تجيش به نفسه من شعر .

عود إلى الشعر :

انقطع ملتن عن الشعر منذ سنة ١٦٤١ كما سلف القول ، ولم يكده يعود إليه سنة ١٦٥٨ حتى انشغل عنه بما كتب في عهد ريتشارد وقبيل عودة الملكية . ثم أقبل عليه إقبالاً غير منقطع منذ أن نجما بحياته في أواخر سنة ١٦٦٠ ؛ ومن ذلك نرى أنه انصرف عن الشعر قرابة عشرين سنة وهي مدة طويلة لم يقضها في تأمل وهدوء وتهيؤ على نحو ما كان يفعل في هورتون ، وإنما كانت حياته فيها كما رأينا مليئة بالأحداث حافلة بالخصومات ، ولكنه أفاد خبرة عظيمة وتم نضجه فأصبح كالشجرة المحملة بالثمرات تجود بأطيبها لأقل مرة ...

ولم تخل هذه السنوات المشروقة من الشعر خلواً تاماً فقد نظم الشاعر أثناءها بعض المقطوعات في مناسبات مختلفة ،

(١) Sonnets : وقد اخترنا لها لفظ المقطوعات في العربية ، وإن كان لا يؤدي اللحن الفني لها ، ولكن على أي حال خير من تسميتها بالأغنيات
(٢) Sonnetto (٣) Sonnette (٤) Stormello

التعبير القوى الجليل هو من قبيل ما يجب أن تبنى منه المقطوعات القوية أو التي تنسم بالنجاح ؛ ومن هذا ندرك أنها عمل فنى يتطلب قدراً كبيراً من البراعة الفنية والطاقة الشعرية ، وحسب الشاعر أنه يقيم تمثالا في لحظة وإن يكون التمثال جديراً باسمه وبالغرض منه إلا إذا حلتك على الإعجاب به والشعور تلقاء بما تشعر به تلقاء كل عمل فنى من روعة الفن وجلاله .

والمقطوعة ضرب من الشعر الثنائى ، ولكنها تختلف عن القصيدة الثنائية الصغيرة بما ينبغى أن يلقى الشاعر على غنائها من الوقار والاحتشام فلا يتبدل ولا يسف ولا يتلاعب بالألفاظ والأسجاع والوان التورية وأشباهاها مما يستلزم فى القصيدة العادية ولا يجوز هنا ، حيث يبنى التأمل والتسامى كى يأتى التمثال مبرراً عما يراد به التعبير عنه ، وما مقام التماثيل إلا للجليل من الأشخاص والأفكار .

وقد شبه أحد النقاد لحن المقطوعة بالموجة إذ يتدفق ويتجمع ماؤها فتعج به وترفع ثم تهبط فتتساح ويرتد الماء ليمود ثانية إلى البحر ، والمقصود من هذا التشبيه أن المقطوعة وحدة غنائية مترمة الصورة واللحن فلا حرية فيها للشاعر أن يجرى ألسانه كيفما شاء وأن يتظرف ويتخلع وينطلق حسبما يتجبه خياله ومزاجه وهواه .

وظهرت المقطوعة أول ما ظهرت فى الإنجليزية فى ثنائيا كتاب نشره أحد رجال الأدب واسمه تيسل سنة ١٥٥٧ تحت عنوان « خليط من الأغاني والمقطوعات » ولما كانت مقطوعات كثيرة منها غفلا من أسماء أصحابها فليس يدري من الرائد فى هذا الضرب من النظم فى الإنجليزية ، على أن الإنجليز لم يقيموا ما وضعه الإيطاليون ، فقد تصرفوا فيه وأتوا بصورة جديدة للمقطوعة وإن بقى عدد أسطرها كما هو فى المقطوعة الإيطالية ، وجاءت الصورة الإنجليزية أيسر بناء من الصورة الإيطالية كما يتبين من طريقة التقفية فيها^(١) ، وليس يشترط فيها أن يكون هناك تغير بين صدرها وخاتمها وإن كان الغالب أن يحدث هذا التغير كما هو واضح من المثال الذى أئبته فى ذيل الصفحة ؛

(١) جملها على هذا النحو (ا ب ا ب ج د ج د ه و ه و ز) .

وكان أول ما ظهرت تلك المقطوعات فى صورتها ولحنها الخاصين بها فى الأدب الإيطالى فى القرن الثالث عشر فى شعر شاعرين هما : بييردلى ريشى وجيو تودارزو ؛ وكذلك كان أول من طرق هذا الضرب من النظم من كبار الشعراء من الإيطاليين فقد تغنى دانتى فى أواخر القرن الثالث عشر بحبيبة قلبه بياتريس فآخذ لغنائها عدداً من هاتيك الألحان ، وكذلك أفصح برتراك فى أوائل القرن الرابع عشر عما ينبض به قلبه من حب لمشوقته لورا بعدد من تلك الأصوات الصغيرة التى سميناها المقطوعات . أما عن الصورة أو الوضع الذى انتهت إليه المقطوعة فى الأدب الإيطالى فإنها لم تك تزيد على أربعة عشر سطراً . ثمانية منها تكون من حيث النظم والموضوع فآخرة المقطوعة أو صدرها ، وتكون الستة الباقية خاتمها أو « قفلها » ، ولا بد فى الفآخرة أن تجرى قوافيها على وضع معين ، فالقافية فى السطر الأول مشكلة لها فى الرابع وبينهما الثانى والثالث متحدة قافيتهما ولكنها متباينة لما بدأت به المقطوعة ، ثم يكرر هذا الوضع حتى تم الأسطر الثمانية^(٢) بعد ذلك وتغير القافية فى الأسطر الستة التى تكون الخاتمة على أساس أن تكون ثلاثها الأولى مشكلة لثلاثها الثانية^(٣) .

وأما عن موضوع المقطوعة فهى كما يفهم من حجمها يقصد بها التعبير عن معنى من المعانى تجيش به النفس فى مناسبة من المناسبات ، أو هى تسجيل لحاظ يخطر للقلب فى غير استطراد يخرج به عن أن يكون خاطراً هو ابن لحظته أو ابن مناسبتة ؛ ويقول فى ذلك ولیم شارب إن المقطوعة « هى خير وسيلة للتعبير عن خاطر شعري بمنزل عن غيره تعبيراً موجزاً محدوداً » ؛ وتقضى طبيعتها أو يقتضى النجاح فيها أن يكون التعبير قوياً رائماً يجمع إلى عمق الفكرة وجلالها بلاغة اللفظ وإشراقه ، كل أولئك فى إيجاز لا يخل بالمعنى المراد . وما أجل ما وصف به روزن المقطوعة وهو من الشعراء الذين أحبوا وبرعوا فيها فى القرن التاسع عشر ، قال « إن المقطوعة هى تمثال لحظة » وهذا

(١) تكون على هذا النحو إذا رمزنا للقافية بحروف (ا ب ب ا ب ا)

(٢) (ج د ه ج د ه)

محاتف مطربة:

من أخلاق البحترى

للأستاذ محمد رجب اليبوي

- ٢ -

على البحترى يوماً حبسنى عنده ودعا بطعام له فامتنتُ من أكله
وعنده شيخ شافى لا أعرفه فدعا فتقدم وأكل معه أكلًا غنيًا
فناظرته ذلك ، والتفت إلى قائلها : أتعرف هذا الشيخ ؟ فقلت :
لا ، فقال : هذا رجل من بنى المهجيم الذين يقول فيهم الشاعر :
وبنو المهجيم قبيلة ملعونة حمر اللحي متشابهو الألوان
لو يسمعون بأكلة أو شرية بمان أصبح جمعهم بمان
قال : فجل الشيخ يشتمه ونحن نضحك (١) .

ولقد كان غرام الوليد بالسال خيرًا وبركة على شعره ، إذ
فتح له أبوابًا من القول ضاعفت إنتاجه ، فقد كان لا يرى عند
خليفة أو رئيس سيفًا أو فرسًا أو خاتمًا أو قلماً إلا وصفه وصفًا
بارعًا ثم استهداه منه ؛ فإذا تم له ما أراد أخذه فباعه وأضاف
ثمنه إلى خزينته ، والواقع أن هذا استجداء غير مشرف ، لأن
الهدية لا تباع بحال من الأحوال !!

وقد نشأ البحترى في عصر تفاخر فيه الترفوت باقتناء
الجوارى والغلمان ، باذلين في ذلك أنفس ما يملكون من ذخر
وعتاد ، فكان الوليد لا يفتأ يستهدى من يروقه من المرءد الحسان
في أسلوب جميل يحمل سامعه بمنح الهدية في سرعة واغتياب ،
وهل نجد أرق من قوله في استهداء غلام يدعى ميخائيل :

فإن هدى ميخائيل تبت بحفنة تقفى لها العتي وينتفر الوزر
غير تراءى الميون كأنما أضاء لها في عقب داجية فجر
ولو يجتلى في بضع عشرة ليلة من الشهر ماشك امرؤ أنه البدر
إذا انصرفت يوماً بعطفيه لفتة أو اعترضت من لحظة نظر شرر
رأيت هوى قلب بطيئًا تزوعه وحاجة نفس ليس عن مثلها صبر
تجاوز لنا فيه فأنك واجد به ثمنًا يغلبيه في مدحك الشعر
وألف منه في القواد محلة ثناء تبقية القصائد أو شكر

وإذا كان البحترى قد هام بميخائيل لأنه وضى الوجه
حسن الصورة ، فليت شعري بم نعل هيامه بنسيم ؟ وقد كان
روميًا دميم الصورة كبريه الرائحة ! ألا أنه وجد هذه الصفات
تجمل صاحبه يفرط فيه بسهولة ، فكان يستهديه ويبيعه ، ثم
يستهديه ويبيعه ، فهو إذن شرك « محكم » يصيد به التقود ،

ذكرت في مقالى السابق (١) أن أبا عبادة البحترى كان ذا
حظوة سميدة لدى الخلفاء ، فقد أغدقوا عليه من الهبات الجزيلة
ما اشترى به ضياعًا واسعة في ضواحي بغداد ، وأخرى في منبج
بالشام ، ولكنه على رغم ثروته الطائلة كان يضيّق على نفسه فلا
يلبس سوى الخز الرخيص ولا يأكل غير ما يقوم بمحاجته
الضرورية ، وطبيعي أن يعامل أهله بهذه الكزازة الشحيحة ،
قال الحكم بن يحيى : « كان للبحترى أخ و غلام معه في داره
فكان يقتلها جوعًا ، فإذا بلغ منهما الألم مبلغه أتياه بيكيان
فيرى إليهما بشمن أقواتهما مضيتًا مقتراً ويقول : كلاً ، أجاع
الله أكبادكما وأطال إجهادكما (٢) » ، وكان يأخذ أضيافة بنوع
من القنوة لا ينبغي أن يصدر من شاعر مرهف الإحساس
رقيق الشعور ، قال أبو مسلم محمد بن الأصفهاني الكاتب « دخلت

(١) المنشور بالعدد (٦٩٠) .

(٢) الأغاني

وكانت تنتهى بسطرين في قافية واحدة يكونان ثمنها الأخيرة .
وذاع هذا الوضع الجديد ، وصحيت مقطوعاته المقطوعات
الانجليزية أو المقطوعات الشكسبيرية ، فقد نسبت إلى شكسبير
ولو لم يك مبتكرها لأنه خير من أجاد في بناء هذه المقطوعات
ولأنه من أكثر الشعراء إنتاجًا فيه ؛ ولقد كثر نظم المقطوعات
كثرة ملحوظة في العصر الاليزابيثي وبرع فيه غير سبنسر
وشكسبير نحو اثني عشر شاعرًا ، هذا فضلًا عن عدد كبير
لم يكن لهم مثل ما لهؤلاء من الإجابة وحسن السبك .

(ينبع)

التصنيف

وَمُلهِمٌ يقدح شاعريته ، فيصفه بما ليس فيه ، ويبالغ في التشوق إلى لقاءه مبالغة تستهوي الأفتدة كأن يقول :

دعا عبرتي تجري على الجور والقصد

أظن نسيما قارف الهجر من بعدى
خلاناظري من طيفه بعد شخصه فيا عجباً للدهر فقدأ على فقد
خليل هل من نظرة توصلانها إلى وجنات ينتسبن إلى الورد
وقد يكاد القلب ينقصد دونه

إذا اهتز في قرب من المين أو بعد
فلو تمكن الشكوى لخبرك البكا

حقيقة ما عندي وإن جل ما عندي
فصبتك ممزوجاً بنفسي ولا أرى

لهم زاجراً ينهى ولا حاكماً يعدى
أبا الفضل في تسع وتسعين نمجة غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
ومهما يكن من شيء فلقد مات نسيم في ميمة سباه ، وارتاح
الناس منه ومن عاشقه الشوق !

على أن البحتري كان يتغير في سبيل المال مذهبه واعتقاده
فهو لا يثبت على قول واحد ، فإذا مدح معتزلياً كان معه ،
أو سنيياً جازاه في رأيه ، قال إبراهيم بن عبد الله الكنجي :
قلت للبحتري ويحك ! إنك في قصيدتك « أفاق صب من
هوى فأفيقا » تقول :

يرمون خالقهم بأفبح فعلهم ويحترقون كلامه المخلوقا
فهل صرت معتزلياً قدرتيماً ؟ فقال : كان هذا ديني في أيام الوائلي
ثم زعت عنه في أيام التوكل ! فقلت له : هذا دين سوء يدور
مع الدول (١) .

وإذن فالوليد لا يهتم بغير المال . مهما غير رأيه واستجدى
أصحابه ، وعنف أضيافه ، وقتر على نفسه وأهله كما تقدم في
صدر هذا المقال ، وذلك كثير !

بقى أن نتحدث عن علاقة الوليد بزملائه الشعراء ، وهي
في جلها غير مرضية ، فقد نشأ في عهد نبغ فيه المعلمون من

أبطال الشعر وقادته ؛ فكانوا يتراكمون في ميدان فسيح ،
فن حاز قصب السبق كانت له الشهرة المستفيضة ، والصيت
القائم ، وهذا تنافس شاق ترك في نفس الوليد أثره الواضح ،
فأبو تمام مثلاً كان لا يستحق منه غير المدح الجزيل ، فقد أخذ يديه
في بادئ أمره ، وقرظه للامة والخاصة ، وواصل تعريفه بالناس
ولولاه ما أكل الخبز — كما يعترف بذلك البحتري — . ولكنه
لم يرع له هذا الجليل ، فهاجبه بعد موته ، وقال لولده أبي الغوث
« إنه ما مات حتى أصفى من الشعر ، وقد سألت ابن الأعرابي
عنه فقال : إن كان شعره شعراً فجميع ما قاله العرب باطل »
بعد أن كان يقول في حياته « إن نسيماً يركد عند هوائه ،
وأرضى تنخفض عند سمائه

ونود هنا أن نلفت الأنظار إلى قصة روثها كتب الأدب
عن مبدأ تعرفه بأبي تمام ، وخلاصتها أن البحتري قد مدح
أبا سعيد محمد بن يوسف بقصيدة :

أفاق صب من هوى فأفيقا ؟ أم خان عهداً ، أم أطاع شفيقا
وكان أبو تمام حاضراً فتنسبها إلى نفسه ، وصدق جميع من
في المجلس ، فجعل البحتري يقسم بالله أنها له ، إلى أن استعجيا
أبو تمام ، فقال : الشعر لك يا بني ولكنني ظننت أنك تهانوت
مرضى فأقدمت على الإنشاد بحضرتي تريد بذلك مضاهاتي ، ...
ونحن نقول إنها قصة مكذوبة نجعل أبا تمام أن يصدر عنه ما ذكر
بها ، سواه رواها البحتري أم سواه ، لأن حبيباً كان ذا مذهب
مشهور في القول حتى إنك لتعرف قصيدته من أول بيت تسمعه ؛
فلو أنه ادعى ذلك ما صدقه أحد في دعواه ، فخلوها عن بيت
واحد تشتم منه رائحته ، ولا سيما وجميع من في المجلس يعرفون
جيداً من هو أبو تمام ! وإلى أي حد يترع .

أما ابن الرومي فقد جر على البحتري من البلاء ما أقلق باله
وأزعج خاطره ، ذلك لأنه كان مولماً بهجاء من يعرف ومن
لا يعرف من الناس ، فخاف الوليد على نفسه منه ، وطلب من
سعيد بن الحسن الناجم أن يجمع بينهما في مجلس ، وما إن تم
ذلك حتى نشأت بينهما صداقة وليدة ، ولكن البحتري عاد
فهجن شعر صاحبه على ملا من الناس ، وما إن شاع في ذلك

سأله عنه « إنه يدخل يده في الجراب ولا يقول (١) شيئاً » ولعله كان يخاف من لسانه السليط !

ومهما يكن من شيء فإن حبيباً ودعبلاً أقرب إلى نفس البحترى من ابن الرومي وابن الجهم ، وهذا يرجع إلى تقدمهما في السن من جهة ، وعطفهما عليه من جهة أخرى ، فليت الوليد قد حبس لسانه عنهما حتى تذكره مع الذين يحفظون الجليل !

وبعد فأخشى أن أكون قد أغضبت عُشاق البحترى بهذا الإلام السريع . فأننا أعترف كما يعترفون ببراعته الفائقة ، وخياله الرائع ، وديباجته الشرقية ، ولكنني أعترف أيضاً بسلطة لسانه ، وقلة وقائه ، وشح نفسه .

« ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل ! » .

محمد رجب البيروني

(السكر الجديد)

(١) الموشع أيضاً .

الأستاذ ساطع الحصري

يقدم :

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ - آراء وأحاديث في الوطنية والقومية

٢ - آراء وأحاديث في التربية والتعليم

وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، في ترتيب

منطق ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة

يطلبان من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

٣٠ قرشاً للأول و ٣٠ قرشاً للثاني

عدا أجرة البريد

حتى انفجر ابن الرومي كالبركان الهاائج يثدث اللحم على رأس الوليد . فهجاء مرات عديدة ، ولم ينس أن يتعرض إلى شعره فيُبَيِّن رأيه فيه بوضوح حين يقول :

قُبْحاً لأشياء يأتي البحترى بها

من شعره الفث بعد الكد والتعب

عبد يغير على الموت فيسلمهم حر الكلام بمجيش غير ذي لب وقد يجي بخلط فالنحاس له وللأوائل ما فيه من الذهب

يعيب شعرى وما زالت بصيرته عمية عن كل نور ساطع الذهب الحظ أعمى ولولا ذلك لم ره للبحترى بلا عقل ولا أدب ! إلى آخر ما قال .

هذا وقد هاجم على ابن الجهم بدون ذنب جناه . فقد ورد على المتوكل على الله من البادية فأعجب الخليفة بمخشوته وبسط له جناح عطفه ، وما زال به حتى دمث طبعه ، وركت معانيه فأنى في شعره بالمرقص المطرب ، ولكن الوليد لم يطلق ذلك من المتوكل ، فانبرى يهجو ابن الجهم هجاء مرّاً ، وكان على قصير الباع في السباب فلم يستطع الصمود أمام غريمه ، فتزيد عليه البحترى موجهاً جُلَّ هجوه إلى ما تحت ثيابه ! وكان الأولى بالوليد أن يترفع عن هذه الناحية القبيحة ، ولكن هذا ما كان ! على أن للبحترى فيه هجاء قد خلا من الفحش الصارخ . فكان جسد المعنى ، رائع السبك ، يدل على تفكير قوى وشاعرية ثرة ، كأن يقول :

يا قذى في العيون يا غلّة ب بين التراق يا حرارة في الفؤاد (١)
يا طلوع العذول غب صفاء يا غريماً أتى على ميعاد
يا ركوداً في يوم غيم وصيف يا وجوه التجار يوم الكساد
خلّ عنا فانما أنت فينا واو عمرو أو كالحديث المهاد
امض في غير محبة الله ما عشت ملقى في كل فجٍ ووادي
يتخطى بك المهامة والبيد دليل أعمى كثير الرقاد
خلفك الباتر المصمم بالسيف ورجلاك فوق شوك القتاد
كما أن من الغريب أن الدور الذي مثله البحترى مع أبي تمام قد مثله مع دعبل الخزاعي ، فكان في حياته يرفع شعره إلى درجة عالية ، وما سمع بموته حتى بدّل رأيه فيه ، فقال لمن (١) كذا في الديوان ولعلها (يا جمره في الفؤاد) كيلا ينكسر البيت .

رباعيات عثمان ...!

للأستاذ عثمان حلمي



كم جبارت من الخيال براعُ هو في نفسه الجريء الشجاعُ
فإذا جدَّ أي أمرٍ تبيَّنَ تَجزوعاً خانت قواه الطباعُ
كيف أضحي وجه الميوس كوجه الـ

طفلٍ هشا والقلبُ وهو شجاعُ
هكذا تأخذ المظاهرُ بالألأ باب أخذاً ويستقيم الخداعُ

هكذا ما استقام في الأرض ظلُّ أو تمزى في ظلها المستظلُّ
ما بنوها أقل مينا ولا الأر ض على المين من بنيا أقلُّ
معدنٌ واحدٌ فلا ترج ما ير

وي الصدى من كذابهم أو يعل
وتبسمٌ ولا تملَّ فأن الـ ماقل المستنير من لا يمل

أبما أبصرته مقلة رائٍ باطل في بصائر الفهماء
فأرح في الحياة نفسك ما اسطه ت بما تستطيع من إعزاء
ما على الأرض لو تأملت خيرٌ لك من لقمة وجرة ماء
وسوى ذاك باطلٌ أي بطلٍ وعنالا ما بعده من عناء

أي حق ما لابتته الظنون ليت شعري فإن أين اليقينُ
الذي كان ليس يدره حتى وعمال إدراك ما سيكون
حُسمٌ هذه الحياة على الأر ض وسرٌ لا ينجلي مكنون
ذلك السر ليس يحلوه للأحـ

ياء — لولا الضلال — إلا التون

كل نفس لها لدى الفكر حق فالذي خلقه هو الحق — حق
والذي خاله سواك هو الحق ، فن منكنا لعمري أحق
شدً ما في رأيكما من خلاف هو غربٌ وأنت في الرأي شرق
ليس من يعرف الحقيقة في الخلق برأي ما في ثناياه خرق

فعلام الجدال والاضنات وإلام الحقود والظنيانُ
نحن مهما تباين الرأي فينا واختلفنا فأسلنا الانسان
ما جرى في عروقنا من دماء أو حوت في صميمها الأبدان
واحدٌ ذلك التراب إذا ما حلتته الأحداث والأزمان

كل حي في الأرض أسعد حالا من بني آدم وأسمى مشالا
فالحر الذي حسبناه أشقى الخلا قى منى ومنك ، أنعم بالا
فهو أنسى اغتدى على الأرض لم يحسن على نفسه بخطاه وبالا
ومع العقل يا ابن آدم تردا د لعمري حماقة وضلالا

نهض العلم يا ابن آدم نهضاً فسي يتبنى سوى الأرض أرضا
ترك الأرض بعد أن دوخ الأر ض وجاب السماء طولا وعرضا
وارتقى فيه كل شيء ولكن بقيت نفسه كما هي فوضى
وتقضى بعقله كل نقص غير نقص بنفسه ما تقضى

هذه النفس يا أخى كيف تصفو

إن حواها جوٌّ من الشر صرف
هي إبليس لو فطنت وفيها ملك حار على الخير يهفو
وهي وحش من الوحوش ونسر يتجناح على النجم يرف
لم يهذب من القرون طوايا ها فظلت من ضعفها تستخف

ملك التسل أمرها والجوع فعى طفل على الدهور رضيعُ
أبنا أيقظا هواها فلا ينفع فيها التثريب والتقريع
هكذا قام في غريزته الأصل وقامت على الأصول الفروع
ما استطاع الإنسان حد هواها لا ولا حد شرها مستطيع

هجز العلم والنهى والدين والردى دون نقصها والسنون
فتأمل أيان كنت وأنسى شئت فالضعف جاثم والشجون
وفنون من الخصاصة والتمس وجم من الشقاء فنون
ودم في براءة مُهرأق وعزيم من كل شر مصون

يا لها من حقيقة تتوارى خجلا والنفوس منها حيارى
فاذا ما تحجبت أسدل اليه ن على وجهها البغيض ستارا

ساخراً من مشاهيد تنواري بين سهل من الأمور وسعب

ليس للحب والقل أسباب أدركتها النفوس والألباب

حير العلم كل عقل ودون العلم عن حيرة القلوب حجاب

رب قلب أحب نفساً أساءته ومن أحسن بغض تناب

ذاك أمر مثل النية خافي جهل الشيب سره والشباب

كل ما في حياتنا أوهام إن خبرت الحياة أو أحلام

فاسأل النيب عن حقيقة دنيا ما تحبك النجوم والأجرام

وسل الكائنات عن منشأ العقل وماوى النهى يحبك الرغام

واعتصم يا أخى بمعزك إن المعجز فيه إذا ضلت اعتصام

كم سؤال لا ينتهى وجواب لم يكن فى هداك فصل الخطاب

فتبرمت بالحياة ولم ير ددك عقل إلى سواء الصواب

ما الذى يستطيع عقلك أن يفهم مما اختفى وراء الحجاب

ولعمري ما الأرض فى الكون إلا

ذرة فى خضمه الصخاب

عنه علمى

الأستاذ سيد قطب

يقدم كتاب :

كتب ونحفيات

يطلب من « دار الرسالة »

ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ٢٥ قرشاً هذا أجرة البريد

وإذا ما تكشفت لم ير المبرح فيها براه إلا صفاراً
كم يرى النفس كيف لطخها الطين كُفِنت حاقه وساماراً

كلنا لأئم فأين المعلوم أين منا الأريب أين الحكيم

فالتس للنفوس ما أسطعت من عذ رفا فى نفوسنا المصوم

وتقبل ما ساء منها وما سر بقلب ما أثقلت المصوم

هكذا كانت النفوس فلا يحزنك منها صحيحها والقيم

لو ترائى والنشر يطفى أمانى ودموعى يطفى عليها ابتسالى

لو ترائى عجبت لى كيف أمضيت حياتى فى راحة وسلام

فأمل مع ابتسامك فى عصرى وكيف انقضت به أيامى

لو تأملت كفتك كثيراً من تجارب سادر مفشام

كلما زاد بالحياة اهتمامى واشتغالى زادت بها آلامى

وتبينت كلما مرَّ يوم لى يوم حقيقة الأيام

فالتجارب علمتى أن تذ عن نفسى فيها لغير مرأى

والقيود التى فرضن على الأحياء فيها قوبلن باستسلامى

والسلام الذى أراه أمانى كم تبينت فيه عكس السلام

غير أنى على مرارة سخرى لم أبح فى انتقاده بلام

هذه حكمة الحكيم جناها عقله من تنابيع الأعوام

من يرد هذه الحياة جحياً جاء من نفسه لها بضرار

أصبحت تشبه الحمامة نفسى

ففى تضجى على المهدوء وتمسى

حصيها السى للقليل من الرزق وحسبى الرضى به والتأسى

ثم حسبى أن لم أرق ماء وجهى لابن أنثى من ذى ثراء وبأس

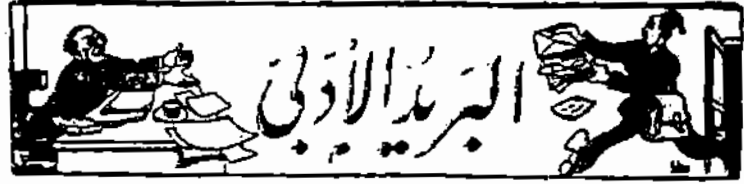
وأرى فى الرضى أماناً من المم وبراء من كل غم وبأس

ولقد رُضت فى العواطف قلبى وتقلب بين بغض وحب

ثم أصبحت لا أود ولا أقبل ولا يستقيم للعطف لى

كل همى أن أبصر الخلق عن بصر على مسرح الخطيئة قربى

من سيم الحياة :



البريد الأدبي

طه الراوي

بعد أن كتبت الكلمة التي حملت إلى قراء « الرسالة »
الخبر المصنوع ، والنبي السكارث : نبي قنيد الأدب العظيم الأستاذ
طه الراوي جاءتني هذه « الرسالة » من الأستاذ حسن حبشي
مدرس التاريخ بمدرسة المعلمين العالية ببغداد ، وكنت حمله بطاقة
إلى الأستاذ الكبير رحمه الله ، فقابلته قبل وفاته بيوم واحد .
وهي أسطر قيمتها في أنها تحدثت عن الأستاذ في آخر
حياته ، وتحمل إلى أصدقائه من أواخر نفحاته .
قال الأستاذ حبشي :

« ما كدت أبلغ عاصمة الرشيد حتى توجهت يوم السبت
إلى الأستاذ طه بك الراوي وكنت قد بعثت ببطاقتكم إليه مع
الأستاذ جميل سميد ، وقد رحب بي الرجل أجل ترحيب ،
وسألني أن أحدثه عنكم ، إذ هو مشتاق إلى الوقوف على أخباركم ،
وقال إنه يعتب عليكم في أنكم لا تبحثون العراق ، مع أنه قد
الحل عليكم من قبل ، وكان حاضراً المجلس الدكتور مصطفى جواد
وأباني أنه سيكتب إليكم .

ولكن العجيب يا أستاذي أن هذا الأديب الكريم كان
متملكاً صحة ، وكانت دلائل المانية بادية عليه ، لا تلمح به أثراً من
جهد أو تعب ، ولكن ما انقضى اليوم الثاني حتى واقانا نعيه
فكان الرزء فيه عظيماً . وأي خطب للأدب والدين في العراق
أجل من أن يختطف الموت طه الراوي وقد كان ملء السمع
والبصر ، وكانت جنازته جنازة دلت على مكانته ، فقد شيعه
كبار القوم ببغداد ، وعارفو فضله وأدبه ، على الرغم من أن المدة
بين نفيه وبين تشييعه إلى لحدّه لم تتجاوز خمس ساعات .

فإن يكن قد كتب إليك فذلك آخر ما كتب ، كما أن
رسالتك التي حملتني إليها كانت آخر ما تسلم ، ولا أستطيع
يا أستاذي أن أسوّر لك مبلغ حبه لك مما بدا في حديثه معي
رمع سائر زواره في ذلك اليوم ، وإنني لأرجو أن يفسح الله له
في جنازته بقدر خدمته للأدب والعروبة والدين .

القاضي الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي من بقايا السلف
الصالح ، يرسل علينا من آن لآخر آيات فيها العظة والاعتبار
بأسلوب رشيق وقصص ممتع ، وفيها أيضاً إثارة من قلم
أستاذنا الراقى طيب الله ثراه .

ساق إلينا في « الرسالة » رواية عن شاب مستقيم الخلق
والدين عهد إليه بالتعليم في مدرسة ثانوية للبنات ، ثم انتهى به
فساد بعض التلميذات إلى الاستقالة من المدرسة ؛ ولّى على الكاتب
الفاضل ملاحظات :

١ - تغلب عليه روح التشاؤم فيها يكتب ، ونحن في عصر
نهوض أو في عصر انقلاب اجتماعي قد نسي وقد نحنن ، فنحن
في حاجة إلى من يروضنا ويبعث فينا روح التفاؤل بأسلوب يهز
النفوس هزاً لتنشط إلى السير قدماً في طريق الفلاح والنجاح ،
ويحملها على الاعتراف بالخطأ فتصفو من عيوب المجتمع وتسلك
سواء السبيل .

٢ - لقد قدّم لنا بطله في مدارس البنات شاباً ضيق
الأفق ضيق الحيلة أشد حياء من العذراء ، ثم صور تلميذته في
صورة داعر تشق معلمها من غير مقدمات ... وليتها فملت كما
قال شوقي :

نظرة فابتسامة فسلام فكللام فوعد فلقاء
وما هكذا طبائع الأشياء ، وما كذلك مدارس البنات !

٣ - كثيراً ما تنقلب الفكرة والخيال على الأستاذ
الكاتب فيفوت الواقع في قصصه : (فهي فتاة من أنبل الأسر
تسرّع وراء معلمها فيصف عنها ثم تكتب له :

وإذا رأيتك لا تكلمني ضاقت على الأرض والأفق)
وما كان لها أن تحجل وتعرض عن معلمها بعد أن صدّ عنها
وأعرض ، حتى هجمت عليه في منزله كالوحش الضاري لتبتك عرضه
لا - يا أستاذ - لقد شطط معلمك شططاً بعيداً . ولعل
أصدقك - وقد كنت في ماضي حياتي معلماً بمدارس البنات -
فهذه المخاوف التي استولت على ذهنك كذا تنصورها ، أو قريباً
منها ، حتى إذا وجدنا أنفسنا في هذا الوسط أحسنا أن هؤلاء
البنات بناتنا والمعلمات أخواتنا ، وزال هذا الخوف الأسود من
مشاعرنا ، وصارت الحياة عادية ، وهذا شأن سائر المعلمين في
مدارس البنات

وفي فترة انتظار الزوجة المتعلمة الفنية اتصل الشاب ببعض التهتكات — اللاتي كانت للمشكلة الاقتصادية أيضاً هي السبب الرئيسي في سقوطهن — فاستمر المرء ووجد الأمر أسهل من الزواج وظنت الفتاة المتعلمة أن الشبان يفضلون المظاهر الخلابية ، فأرادت أن تتقرب إليهم ببعضها فنفروا من زواجها ! فماذا تصنع ؟ ! كما رأت أخوات لها تزوجن رجالاً ابتزوا أموالهن وجروا وراء شهواتهم وملأهم ، بل طلقوهن وهربوا من النفقة ! فأصبحت هي أيضاً تخشى الزواج !

ومن هذا ترون أن المشكلة أشد تعقيداً من أن ينفع فيها لوم المرأة ، والمرأة وحدها . إنها مشكلة الجوع والحرمات — المادى والمعنوى — مشكلة العصر الحاضر كله ، والذين وضعوا أسسه ونظمه هم الرجال لا النساء . . فما ذنب المرأة ؟ ! الشاب يجب أن يتزوج فتاة مثقفة عتشة ، والفتاة تريد أن تزوج رجلاً يرعاها ولا يظلمها ، ولكنهم جميعاً يخشون المستقبل ، ولا ضمان لهم ، فلا التعليم مباح لأبناء الفقراء ، ولا العلاج ميسر للمرضى ، ولا العمل مكفول للعاطلين والماعولات ! فليس التعلم إذن ولا السفر مسئولين عن هذه التبعة الثقيلة ، ولو كانت الفتاة جاهلة ومعجبة وحُرمت الزواج ، لما كانت الحال أحسن ، بل تكون أسوأ ، لأن الجاهلة لا تجد ما يشغلها ، وكل ممنوع محبوب ومطلوب !

صحيح أنه يوجد في التعليم والاختلاط أخطاء وضحايا ، ولكن العلاج ممكن بيمض التنظيم والتهديب ، فالفضيلة أسهل من الرذيلة التي لا يلجأ إليها الإنسان إلا مضطراً لسوء الظروف أو سوء التربية إن الزمن يتطور ، والنظريات تتغير ، وإن التيار جارف شديد لا يمكن اعتراضه ، ولكن يمكن توجيهه إلى الخير ، إذا صلحت النيات وقويت المزامم

والمشكلة الرئيسية مشكلة اقتصادية — كما أوضحنا — فإذا أراد أولياء أمورنا حلها ، فعليهم أن يوفرُوا للرجال والنساء حاجتهم من العيش والزواج بكرامة واطمئنان ، ليوفروا التعليم للفقراء ، والعلاج للمرضى ، والعمل للعاطلين ، ليكفوا الناس شُرور الفقر والجهل والمرض !

وبغير هذا (فصاحب الحاجة أرعن) ، ولا فائدة من اللوم ولا من الكلام !

فؤاد السبر خليل

فرقاً بالناس وحنانك ، وإنصافاً — يا حضرة القاضى —
قالأمر إن شاء الله على ما تحب بفضل القدوة الصالحة والتهديب
الصحيح أولاً فلتخلق مدارس البنات والسلام

مسئبن حسن مخلوف

الفتش بوزارة المعارف

تجبة فرورم :

[من الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ
أحمد أمين بك بمناسبة قدومه من أوروبا] :

سعدت بمقدمك العباد يا خصب أذهاب البلاد
الشرق محتفل القلوب بكم وإن حال العباد
بشرى تفاقمها البلا د تناقل النغم العباد
يسرى شذاها حاملاً أملاً إليها في ازدياد
أحمد الزين

مناظرة هادئة

اطلعت بالعدد ٦٩٤ من مجلة « الرسالة » الفراء على المقال القيم بقلم الأستاذ الكبير على الطنطاوى . وإنى وإن كنت من (الرجعيين) أمثال الأستاذ الكبير ، إلا أنى أريد أن أنصف النساء والرجال أيضاً فأقول : إن النساء لم يجرمن ولم يذنبن ، (وطالب القوت ما تمدى) ، فموضوع النساء كموضوع الرجال تماماً ، ينحصر في غريزتين اثنتين : وهما المحافظة على الذات والمحافظة على النوع ، وبعبارة أصرح الحاجة إلى الطعام واللباس والغريزة الجنسية ، وكان الزواج يكفى المرأة هاتين الحاجتين ؛ إلا أن الشبان في هذه الأيام — تيمناً للتصور الفكرى والمادى — أرادوا أن تكون زوجاتهم على علم يتفق وثقافتهم ، كما رأوا أن الزواج عبء ثقيل لما يتبعمه من تربية أبناء وتعليمهم وعلاجهم فأرادوا أن تكون زوجاتهم نروة تميمهم .

واضطرت البنت إلى أن تتعلم ، أو اضطرها أهلها إلى تعليمها ، واستتبع التعليم حباً السفر ، ثم اضطرت الفتاة إلى أن تعمل لتكون لنفسها نروة يطلبها الرجال !

وكان لابد من أن تتطور أفكار الفتاة تيمناً لثقافتها وقدرتها على الكسب ، فرأت لنفسها الحق في شيء من الحرية والاستقلال . وهو أمر — إذا لم يمتد حدوده — لا يتناقض مع الدين ولا مع

الشرف ولا مع حقوق الزوجية !

صوت متوقع من الشرق



رهوة في وقتها :

الرسالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا

الأمين العام لجامعة الدول العربية

عرض وتعليق

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ١ -

دين وسياسة

هذا الكتاب إن شئت قلت هو كتاب دين كتب بقلم سياسي مفكر عارف بآفاق الحياة البشرية ، له بأكثر الأمم والأديان والعلوم والمعارف والحوادث العالمية والقومية خبرة نادرة ، فلفتت تجدي في كتابه الذي نحن بصدد تلك السقيلة النمطية المقيدة التي تواجه القارئ في أكثر ما يعالج المسألة الدينية من كتب .

وإن شئت قلت هو كتاب سياسة كتب بقلم رجل هو في أعماق نفسه وظاهر حياته رجل عقيدة وفضيلة وسمو ، يرى الحياة السياسية لن تكون على شيء غير الخداع والكذب وحب الغلب واللمب بالشعوب والأفراد إن لم تؤسس على العقائد السامية التي يستمد منها العقل والقلب من التعلق بتلك الحقيقة الأولى العليا وهي الإيمان بالله عز وجل واستمداد الضمير مما يفيضه سبحانه على الكون من قيم الحق والخير والعدل والرحمة والجمال والنظام وغير أولئك من عزائم الإحسان التي توحى بأن تكون وجهة الناس خدمة الحياة البشرية جميعها بدون نظر إلى ما بين الناس من فروق الجنس واللغة والدين والطبقات ، والسمي المختلص للتوفيق بين الأمم ودفعها لخدمة الحضارة والعلم ومقاومة عوامل التفريق والتنازع في مجالات الكسب المادي .

والصوت الذي يعلو في هذا الكتاب كان لا بد أن يرتفع الآن من الشرق العربي مع أصوات الدعاة في العالم ومع نهوض الجامعة العربية برسالة « الأمة الوسط » التي يلتقي لديها الشرق والغرب لقاء جديلاً ، ليجلو هذا الصوت وجهة رسالة الله الواحدة الخالدة التي تنقلت بشعلتها يده تعالى مع تنقل البشرية وتطورها التاريخي حتى استبان معالمها التاريخية على أيدي أربعة من هذه « الأمة الوسط » هم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

وكان لا بد لهذا الصوت أن ينطق عن هذه الرسالة بلسان هذا العصر ويوضح منطلقها بأسلوبه ويبين عن آرائها في الحضارة الروحية التي لا بد منها أولاً لتوطيد أسس الحضارة المادية في القلوب والعقول قبل إقامتها في المجالات المادية .

وقد رأينا دعاة السلام في الغرب يعالجون مشكلات العالم بأسلوبهم وحسب تكييف حياتهم ومواقفاتهم ، مثل ما فعل (وندل ويلكي) و (هنري وولاس) و (ويلز) وغيرهم . وما كان لسكان الشرق الأدنى صاحب الرسائل الفاصلة في توجيه الحضارات الروحية والمادية ، والماهد لها في قديم التاريخ وأوسطه ، والجامع لأطراف إنسانية الشرق والغرب حيث نزل إلهام الله ووحيه على رسله وأنبيائه في رسائل لا تزال هي المسيطر على أرواح أعظم جماهير الأمم العظيمة للآن . . وما كان لهم أن يتركوا الناس يتخبطون في التماس الهدى وحل مشكلات الفكر والعيش دون أن يرتفع فيهم صوت يذكر الناس برسالة الله الخالدة ويعلمن عما فيها من هدى قديم جديد .

البحث عن غدد

والعربيون يبحثون عن غدد يشرق عليهم ضياء ، وقد خرج روادهم منذ الحرب العالمية الأولى يبحثون عن ذلك الغد في كل مكان حين أحسوا ظلمة المادية تخنق أمهم ويومهم وتراكم على منافذ حياتهم الروحية فتحجب عنهم أضواء الهدى وتخنق حياة الوجدان والضمير وتطارد طمأنينة النفس إلى الحياة وإلى قيم الحق والخير فيها ...

ومدى ما في طبعهم من سماحة تؤهلهم أن يكونوا بحق « الأمة الوسط » لا في المركز الجغرافي وحده ، بل في المركز الفكري كذلك

مسألة المسائل

والمسألة الدينية هي أعظم مسائل الحياة قيمة وتشويقاً وإثارة للجانب السامي في النفس البشرية وللتفكير والرجاء والرغبة والرغبة ، وقد كانت ولا زالت محور بحوث العقول والفكر وعقول الجهرة ، لأنها تتصل بأعمق الفطرة وترتب عليها قيمة الحياة وقيم الحق والخير فيها ، ومعرفة المصدر والغاية منها ، وما برحت « ما نحن ؟ وما الكون ؟ ومن أين ؟ وماذا وراء الطبيعة ؟ وما هي الغاية ؟ » أسئلة خالصة تثيرها القوى الفكرة في كل فرد ، وهي موجّهات الحياة ومكيفاتها ، تضل الجماعة البشرية أو تهتدي حسب توفيقها في الإجابة عليها . وهذا الكتاب يعالج الحياة الإنسانية ومشكلاتها بتثبيت جذور هذه المسألة الدينية وتقريب فروعها فيتمشى بذلك مع طبيعة المشرق وأتجاهاته من قديم ، فالشرق دائماً يعالج حياته المادية بالاستعداد من خالق الوجود وواهب الحياة ، وقيم علاقات الاجتماع على أسس من علاقات الناس والكون بالله . بينما الغرب من قديم كذلك يتمشى مع عقلية المادية ، فهو دائماً الباحث المادي الرهين بالمحسوسات المستوحى جفاف الأرقام ...

ولذلك كان المزاج الشرقي واسع الرحاب برحابة ما يتصوره من عالم الكاليات الإلهية وراء هذه الطبيعة ، طليقاً في أحيان كثيرة من القيود المادية التي تحبس الخيال وتربطه بالأرض ، يأخذ الماديات لالعبادتها وتآليهها ولكن للتعلق بمسبب أسبابها .

الحاجة إلى حضارة الروح

والدعوة الدينية هذه في حاجة ماسة إلى الحديث الدائم عنها وخصوصاً في هذا العصر المادي ، بأسلوب هذا الكتاب الذي رأى المسألة الدينية أكبر معين لبناء الحضارة المادية على أوتاد ثابتة من الإيمان والإحسان ، فاستعان بها أعظم استعانة واستفتى نظرياتها وأفسكارها لتطبيقاتها على التاريخ الحى الذى يحياه الناس الآن ، ليريه أن منشأ ضلال الحياة الغربية هو ترك الامتانة والاعتماد على الهدى المجرى من هذه المسألة .

غير أن الموجة المادية كانت قد وصلت إلى ذروتها من الظلام والظلمين على الفكر الغربى بحيث لم يستطع الباحثون عن السلام أن يصدوا من طغيانها وظلامها ، فانطلق سيلها الجارف الهدار حتى طم على حياة الغرب والعالم كله فأغرقه بفلسفة البحث عن « الذهب الأسود » و « الفحم الأبيض » وأحرقه بنارها مع ما جمع من الحديد والفولاذ وأدوات المتاع والزينة والخيلاء والجشع والاستعلاء ... ، وإذا بأوروبا موئل الحضارة المادية تشق بحضارتها وتدمر بوسائل قوتها حتى تصبح خاوية على عروشها لا يطمئن إلى الحياة فيها سكانها وهجرها عشاقها كما تهجر الفيران السفينة حين تشق على الفرق ... وإذا الحقيقة الخالدة تتجلى من جديد ، وهي أن الحياة الإنسانية إذا لم تقم على الطمأنينة والسلام وعقائد الخير وانسجام الإنسان مع ما أراده الله في الطبيعة ، فهي إلى فناء وزوال في غدها مهما غنيت في أمسها وحاضرها !

نعمة تستحيل إلى تقمة

وهذه الحضارة نعمة عظيمة لا يكدر صفوها إلا الطيش والجشع بينها ؛ لأنها حضارة جعلت للإنسانية قدرة على تحقيق أحلام السيطرة والتغلب على كثير من قوى الطبيعة ، وكشفت للبشر عن مدى قدرتهم التي صارت لا يقاس بها ما كان لآلهة الخرافة عند القدماء من قدرة على التكوين والتخريب . فلماذا يصرون على الحروب والنصام بمد أن صار في حروبهم من الهول والدمار ما يسحق جذور الحياة نفسها ، ويبد أن وضع لهم أن الأرض دار واحدة لهم جميعاً وأن خيراتها كافية لأن ينعم بها الجميع ويتمتعوا ما وسعهم القدرة على المتاع ؟ !

إن ذلك طيش وسفاهة يجب أن ينهض لمقاومته العصبة ذوو القوة من المفكرين والمريين ودعاة السلام في الشرق والغرب وأن يصدغوا بذلك ، كل في محيطه ووطنه والعالم .

وهذا ما أراده عزام باشا حين أخرج بحوث هذا الكتاب الذى لا شك في أنه ضوء عريض سيكشف للعالم جميعه مدى ما عند وارث « الرسالة الخالدة » من فهم وإدراك وعلاج لمشكلات الفكر والبيض والسلام والحرب والاجتماع ، وما لديهم من استعداد عظيم للمشاركة في إقامة حياة كريمة بين الناس جميعاً ؛

المدخل

ودعونا الآن نلج إلى الكتاب من أبوابه الستة ذات الفصول الثلاثين لتتعرف إلى أمهات مسائله في الإمامة خاتمة ونظرة عابرة إن فاتها التعرف إلى الدقائق فلن يفوتها التعرف إلى الجلائل :

الكتاب كما يتضح من عنوانه « بحث في رسالة الله الواحدة الخالدة على مدى الزمن ، واقتباس من هداها في الاجتماع والسياسة والحرب والسلام والعلاقات الدولية ، لإزالة أسباب الاضطراب العالمي وإمداد الحضارة بسند رוחي في إقامة نظام عالمي جديد » وقد أوضح المؤلف في مقدمته أن الذي دعا إلى تناول موضوعاته

هي حالة الشذوذ والاضطراب أثناء الحرب الأخيرة والرغبة في الكشف عن أسباب هذا الاضطراب العالمي ، ومحاولة إيجاد علاج له بعد أن تبين أن هذا العلاج غير ميسور في هدى الدعاوى المبادئ السارية في هذا القرن ، والتي أوحى بها المدنية المادية الحديثة . فلا بد إذاً من النظر بجد للتماس الهدى في غيرها بعد أن ظهر عجزها في تنفيذها الواقع بأوروبا وأمريكا .

فهل هذا العلاج في الرسالة الخالدة التي تعاقب رسل الله على الدعوة إليها وجاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

وقد تولى الكتاب الإجابة على ذلك ، وهو إن كان أفاض في التعرض لشرح وجهة النظر الإسلامية باعتبارها آخر تطور للرسالة الخالدة « فإنما قصد بذلك إلى التعاون والقربى لا التناؤد والتفرقة وأن يجد الناشئ الجديد المتعطش إلى المعرفة والطالب للهدى من المسلمين وغير المسلمين ، مادة للتفكير وسبيلاً إلى رأى عالمي مستقيم بعد هذه الحروب المدمرة التي أثارت اضطراباً لا نظيره » واضحاً نسب عيون المسلمين وغير المسلمين قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » .

وهو يهيب بالجيل الناشئ من العرب « أن يكونوا أهلاً لحل هذه الرسالة بمدون الحضارة والعلم بالسند الروحي الذي لا بد منه لعالم جديد متضامن متعاون على تشجير خيرات الأرض متعجه نحو دولة عالية واحدة تباركها يد الله ويرعاها رضاء » .

عبد النعم خمر

(يتبع)

وقد ثبت أن من الخير المؤكد للناس أن يحكموا بحكومة الوجدان والضمير من داخل نفوسهم قبل أن تحكم أجسامهم وظواهر أعمالهم بالقوانين ، لأن حكومة الوجدان راعيا لله المطلع في كل حين على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بينما حكومة الأجسام لا ترى إلا ما في الشوارع ولن تستطيع أكثر من هذا ... ولن تقوم حكومة الوجدان إلا في ظلال الدين الصحيح الكفيل بإقناع الناس فيما بينهم وبين أنفسهم بقيم الحق والخير والفضيلة ، وبقيع الباطل والشر والإثم والجريمة .

الفكر والسلطة

والكتاب مثل واضح لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الفكر والضمير والسلطة حتى يكون « فن الحكم » - وهو أعظم فنون الحياة - قد استكمل أدواته في نفوس الحاكمين والمحكومين

والعلاقة بين الفكر والسلطة هي مشكلة الحضارة في هذا العصر ، إذ أن المفكرين المؤمنين العالمين بسير الحياة بالأحياء والساكنين في قبة العلم والخلق لا يزالون يمزج عن حكم الناس ، قد تركوهم للسياسيين المحترفين والهامسة والدجالين واللاعبيين بالشعوب المنقطعين عن العلم والخلق ، ولا هم لهم إلا الثروة المادية والبطش والخيلاء والغلبة على الأعداء ...

والذين يعرفون المؤلف يشهدون في إجماع أنه من نوايغ المفكرين المؤمنين السياسيين العمليين والأمينين في آن واحد . ولذلك وفق غاية التوفيق في أن يكون كتابه كتاب تربية وتهذيب ودين وسياسة وإصلاح اجتماعي ، وفقه في العلاقات الدولية ، ومعالجة أسباب المشكلات العالمية ، ووضع نظام عالمي جديد .

فهو كتاب من الكتب المنفردة التي يخرجها عمالقة الفكر والخلق الذين يلتقي فيهم العقل والقلب ذلك اللقاء المنشود المحبب للجيل ، ليقروا بها أمراً حكماً من أمور باطلة ، يضعونه على طريق الإنسانية في مرحلة من مراحل تاريخها ، فيكون مناراً يضيء مسالك الخطى حين تختلط الطرق وتضل الاتجاهات ويحتاج الناس إلى صوت يقول لهم : من هنا الطريق ...

صفحة

فهرس مفصل

لكتاب « في أصول الأدب » الذي ظهر هذا الأسبوع

المحاضرات

صفحة

٣ — ١٤ الأدب وحظ العرب من تاريخه :

الأدب وملته بالفرد . الأدب والمادة . الأدب والقومية .
الأدب والاستعمار . دراسة الأدب في مصر . طريقتنا في
دراسة الأدب . الشعراء المعاصرون . لفظ الأدب وتحديد
وتطوره من العصر الجاهلي إلى اليوم . تاريخ الأدب بمجنيبه
الحاس والمأم . جهل العرب بتاريخ الأدب وأسباب ذلك .
سماح العرب في التاريخ العام والتاريخ الخاص . العلاقة بين
التاريخ الأدبي والتاريخ السياسي .

١٥ — ٢٧ العوامل المؤثرة في الأدب :

طبيعة الأقليم ومناخ البلد . خصائص الجنس . دوام الحرب
بين جنسين أو أممين . طبيعة العمران وتوزيع الثروة وما
يتصل بذلك من حال الاجتماع . الأديان وما يتصل بها من
الأخلاق والمعتقدات . العلوم النظرية والتجريبية . أحوال
السياسة الداخلية . اختلاط الأجناس المختلفة العقليات والمبادئ
والاعتقادات بالمصاهرة والمجاورة في أمة واحدة . التقليد
والاحتذاء .

٢٨ — ٤٠ النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه :

مذهب القدامى في الموازنة والنقد : الأدياء . القويون .
اليانيون . مدار المناظرة على الآيات المفردة من الشعر والصفات
العامية للشاعر . كتاب نقد الشعر لقدامة . كتاب الموازنة
بين الطائيين للأمدى . إغفال الانوين واليانيين نقد النثر .
أسباب قصور العرب عن النقد الياني . غرض القويين والنعاة
من النظر في الشعر . جنوح الأدياء والكتاب إلى الموضوعية
في النقد . مذهب القوية بين القدامى والمحدثين . ظهور
البدع وظهور شأو المحدثين فيه . جملة الأسباب التي حلت
للمقدمين على أن ينظروا إلى القصيدة باعتبار ما تشتمل عليه من
قريب الكلم أو أسيل التراكيب أو محسنات اللفظ . انحصار
النقد الياني عند العرب في جزء واحد من أجزاء النقد يمتناه
العام عند الفرنج . قصر النقد على الصور والأشكال وجه
الشعراء إلى الاحتفال باللفظ دون المعنى . الناحي العامة للنقد
الصحيح .

٤١ — ٨٠ تاريخ حياة ألف ليلة وليلة :

الأساطير ومنشؤها ، أساطير الطفولة . القصصون في
الأدب المصرية . ستم بألف ليلة وليلة . تاريخ القصص .
لثرم في الدين والسياسة . القصصون في القاهرة . القصصون

في بغداد . الفن القصصي وتاريخه وتطوره ومادته في البلاد
الدرية . نشأة القصص الطويلة في مصر . القصص الغفل قصة
عنترة بن شداد . قصة سيف بن ذي يزن الأميرة ذات الحمة .
فيروز شاه علي الزبيق . مؤلفو هذه القصص مصريون والأدلة
على ذلك . ألف ليلة وليلة . قيمته في نظر الشرقيين والغربيين .
إغفال الخاصة بإياه . عناية المستشرقين به . خطر هذا الكتاب
في التاريخ الاجتماعي للعرب والمسلمين . فضله على بغداد .
إساءته إلى مصر وأسباب ذلك . صعوبة الكشف عن حقيقة
ألف ليلة وليلة . الوثائق العربية عن ألف ليلة وليلة . رأى
المعروى . رأى ابن النديم جهود المستشرقين في الكشف
عن الكتاب . أصل الكتاب وطبقته . الأصل والاختلاف
فيه . الطبعة البغدادية وحكاياتها . الطبعة المصرية وحكاياتها .
للمحقق بالكتاب في العصور الحديثة . مؤلف الكتاب .
زمن تأليفه . سبب تسميته . طريقة الكتاب وأسلوبه .
نفسه وسمايه . تأثيره بالأقلاطونية الحديثة والأخلاق
الاسلامية . عقيدته في المرأة . وجهته في الدين والسياسة .
مخطوطاته ومطبوعاته ومترجماته . عبقرية العرب مصادر البحث

٨١ — ٩٧ أثر الثقافة العربية في العلم والعالم :

الشعوب كالأفراد فيها التاج والمامل . الأمم التي بلغت
رسالات الله فضل العرب عليها جيماً سوء رأى الغربيين
في العرب وسببه . ارتدت ريتان والعرب . رأى المتصنفين من
الأوربيين في العرب . حال العالم قبل رسالة العرب . رسالة
العرب الدينية والحلقية وأثرها في الشعوب . فضل العرب على
غيرهم في الفنون . رسالة العرب العلمية . جهود العرب في
نشر المدنية والعلم . أثر العرب في العلم لا يقل عن أثر اليونان .
ترجمة العرب لعلوم وتأليفهم فيها . ابتكاراتهم في فنون العلم
المتنفة . انتشار الثقافة العربية في الشرق والغرب . فضل
العرب على المدنية الحديثة .

المقالات

١٠٠ الأدب العربي وما في دراسته من نقص

١٠٣ آفة اللغة هذا النحو ...

١٠٧ ما لشوقي وما عليه

شوق شعره . تقليده . تجديده . نثره . جملة الرأي فيه

١١٥ العبقرية والقرينة ، أو شوقي وحافظ

١١٩ حول التجديد

١٢١ أول درس ألقيته

١٢٦ تجاربي في تدريس اللغة العربية

صفحة	الرواية المسرحية في التاريخ والفن :	صفحة
١٣٣	تعريفها . منشا الرواية وتأثيرها . العمل الروائي . صفات العمل .	٢٠٥
	الوحدات الثلاث . أجزاء العمل : العرض والتعقيد والحل . أجزاء أخرى للعمل : الفصل . الاستراحة . الأشخاص المتأثر أداء العمل : العبارة . الحركات . الحوار . نجوى النفس	٢١١
١٥٦	أنواع الرواية	٢١٤
١٥٦	المأساة :	٢١٧
	تعريفها . غرضها . موضوعها . مذهب القدماء . مذهب المحدثين	٢١٨
١٦٠	المأساة في خلال القرون	٢٢٠
١٦٢	تحليل موجز لأشهر المآسي	٢٢٢
	مآسى كورني : السيد هوراس سنا . بوليكت مآسى راسين : اندروماك . أثالى . فنر مآسى فولنير : زير . ميروب	٢٢٦
١٨١	المهابة :	٢٢٧
	تعريفها . سبب الضحك في المهابة . أنواع المهابة . ما لا يجب من عمل المهابة	٢٣٢
١٨٥	المهابة في خلال القرون	٢٣٥
١٨٩	تحليل موجز لأشهر ملاحى مولير	٢٣٧
	التنوحش . البخل . الناء العالقات	٢٣٧
١٩٨	المأساة المصرية أو الدراما	
	معنى كلمة الدراما . الدراما والمأساة . القدماء والمحدثون . الفرق بين الدراما الحديثة والمأساة	

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأسكندرية طبعة إبريل سنة ١٩٤٧

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التي تختارونها للإعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات الأسكندرية الذى سيصدر في شهر إبريل

سنة ١٩٤٧ .

والإعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الإيضاح اتصلوا : — بقسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر .